
سلسلة غير مترابطة الأجزاء
متاهات الحب
سلسلة
ندى عثمان
RANEEM ZIAD



نوفيلا
فوات الأوان
ندى عثمان
من متاهات الحب (1)

من متاهات الحب "1"

فوات الأوان

ندى عثمان

نوفيلا



فوات الأوان

المتاهة الأولى

حلم_هن

ندى عثمان

فوات الأوان

نوفيلا

حلم_هن

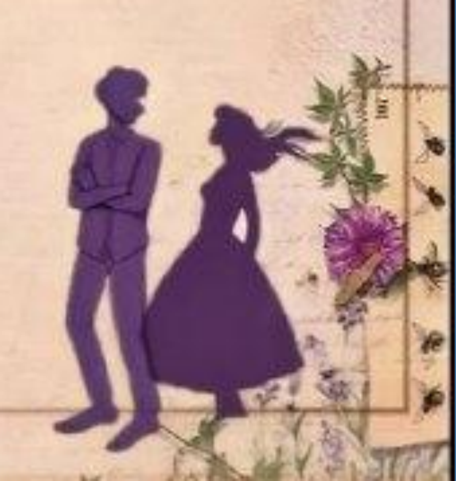
ندى عثمان

فوات الأوان

بقلم

ندى عثمان

حلم_هن



ندى عثمان

جروب حلمهن الأدبي

ولنا مع الحرف حلم

https://www.facebook.com/groups/7elmhon



تصميم غلاف خارجي أول (السلسلة) وغلاف داخلي:

سلمى جمال.

تصميم غلاف خارجي ثاني، وثالث (النوفيلا):

صابرين الديب.

تعبئة وتنسيق:

ندى عثمان.

تصحيح لغوي، وتدقيق نحوي:

ولاء علاء البيومي.



تنويه

سلسلة من متاهات الحب سلسلة غير متصلة الأجزاء.. أي أن كل متاهة (رواية كانت أو نوفيلا) لا تتبع المتاهة التي تليها أو تسبقها، بل أحداث وحبكات وشخصيات كل متاهة خاصة بنفسها، أي أن قصتهم تبدأ وتنهي في المتاهة ذاتها. ربما يظهر بعض أو إحدى الأبطال كضيف شرف في متاهة أخرى، لكن قصته الخاصة تبدأ وتنهي عند متاهته الخاصة.. والرابط الوحيد بينهم جميعًا، أنهم يخضعون لقانون المتاهات..



تنويه هام.. أو نصيحة لوجه الله..

في هذه السلسلة لا تبحث عن نهاية ..

لا تتطلع لحل المشكلة، أو مرسى لسفينة تساؤلاتك..

نحن هنا في متاهة، وشيم المتاهات عدم الوصول لنقطة توقف.

هنا أغرق في الحدث واستمتع بالغرق..

راقب المشهد وابكي دون الحاجة لمبرر إن أردت..

وابتسم ولا تؤرق عقلك بسؤال ماذا بعد..

هنا حيث من متاهات الحب..

فلتتوه معنا دون تساؤلات.

ويلا ننجز بقى ونقرأ عشان احنا خلقنا ضيق☺️❤️😂

التعريف بالنوفيلا..

في أولى لحظات الدنيا ربط بين آدم وحواء خيوطٍ من الحب، التسامح، المودة، والرحمة..

حتى طغت الأنانية، وعمَّ الطغيان؛ ففُصمت تلك الخيوط وتآكلت..

وخشى آدم حواء، وهاب حواء آدم.. ابتعدا؛ وفارا من بعضهما هاربين..

ولكن في نفس آدم تمنى سلام حواء، وفي قلب حواء حلمت بسكينة آدم..

ولكن لاتزال الثقة المفقودة جاثية على أمنياتهم المرتجفة..

فهل يجتمعا من جديد؟!



المقدمة:

قبل فوات الأوان يجول في زنزانة الفكر الخوف، والتردد..

وبعد فوات الأوان يترنح في مشنقة القلب البؤس، والندم..

لكن ماذا عن لحظة فوات الأوان ذاتها؟!

ماذا عن لحظة المفترق؟!

ماذا عن لحظة القرار؟

لما لم يتطوع أحد بوصف الصراع الغاشم لجانبي العقل وجنوح كلٍ منهم أقصى الاتجاه المعاكس للآخر عند لحظة اتخاذ القرارا النهائي..

الصراع الممزوج بصوت صراخ مدوي لنبضات قلب ملَّت أثر أصفاد الاختيار "الطبيعي" على ذراعي حريتها..

الصوت الخبيث الذي يضرب أفئدتنا الملتاعة بخوف من مجهول قد ينحر أعناق سلام أحلامنا؛ فيزيد نبضاتنا لوعة على لوعة ويتستمر في الترديد.. لك أن تقبل" قبل فوات الأوان"..

هل حقًا هناك ما يسمى بـ"فوات الأوان"!

***



الأحد

2/1/2022.

**

اليوم: الأحد.

الساعة: الرابعة عصرًا.

المكان: على طريق الدائري.

الحالة: تأفف للمرة المائة وربما الألف..

هذا الزحام بعد يوم عمل طويل مرهق، ومستفز حقًا يثير أعصابه..

أبواق السيارات تقتات على ثباته وتجعله على حافة الانفجار لأي سبب مهما بلغت تفاهته..

ضرب بيده بحدة على مقود سيارته ليصدر بدوره صوت صفير طويل مزعج، يعلم أنه لن يفيد في الأمر شيءٍ ولكن فقط كي يخرج بعض من طاقة السأم داخله..

لحظات وأيقن أنه حبيس في غرفة غضب ستنفجر به في أي لحظة، ولا مفتاح للفرار منها إلا الهدوء ومحاولة الاسترخاء..

أغلق زجاج السيارة وتنفس بعمق مغمضًا عينيه لحظات، وظل يستغفر ربه، متناسيًا تلك الأصوات المزعجة الآتية من كل مكان... فهدأ قليلاً.

بدأ المرور بالحركة، نعم حركة بطيئة ولكنها تظل حركة، فتح الزجاج من جديد ليوحي له بشيء من تلك حركة ولو بشكلٍ بسيط..



ثم حاول التركيز مع أي شيء سوى الزحام..

ظل يجول بنظره بين السيارات وأرقامها في هواية قديمة لم ينسها يومًا يبخر بها الدقائق المزعجة بتسلية طفولية..

ابتسم وهو يدور بعينيه بين باقي السيارات حتى لفت انتباهه الحوار الدائر في السيارة بجانبه فراقبه في بادئ الأمر بعفوية ثم بفضول..

سيدة أنيقة لا يرى سوى جانب وجهها وهي تجلس بتحفز وتتحدث بحدة على ما يبدو من حركات جسدها الموجه للجهة الأخرى من السيارة..

وعلى الجهة الأخرى لمح رجل مرهق القسمات مغمض العينين يهز رأسه بموافقة بشكل دوري..



انتبه فضوله بالتبعية فركز مسامعه مع الحوار الدائر، والحق يقال..

صوت المرأة كان يسمح لصفوف العربات جميعًا بالسمع ليس هو فقط، والفضل في عدم انتباه المارة لهم يرجع إلى أصوات السيارات والسائقين والأبواق مشكورين جميعًا..

سمع صوت المرأة يصدح بإصرار حاد لا يخلو من بعض الحزن:

-لا يا "محمود"، أنت كل شوية تقول لي كدة وتعتذر، وأنا تعبت، أنا حاسة إني مجرد شيء في حياتك... بقيت خلاص تحصيل حاصل.

تنهد الرجل وهو يمسح بيده على وجهة قائلاً بإرهاق باد على قسمات وجهه:



-آسف، حقك عليا...

-وبعدين كل مرة تعتذر، وما فيش جديد بيحصل..

على طول قاعدة لوحدي وبشوفك كل فين وفين، لا بنخرج مع بعض، ولا بنقعد نتكلم زي البشر..

وكل اللي على مامتك إنك مش طايقني ولا طايق البيت والقعدة فيه عشان كده على طول هربان منه، وديمًا تديني في كلام زي الزفت..

كدة كتير عليا أنا تعبت.

-خلاص يا "خديجة" هكلمها وأقولها تخف عليكي ومالهاش دعوة بيكي، ممكن كفاية بقى أنا جي من الشغل خلصان. احمر وجهها بغضب وصمتت وهي تعتدل في

جلستها لتواجه الطريق أمامها وعقدت ذراعيها أمام صدرها تخبره بقرارها:

-أنا محتاجة أقعد مع ماما يومين.

نظر أمامه بذهول ثم واجهها بمعالم وجه حانقة وهو يصيح بغضب بدأ أخيرًا في الطفو على سطح ملامحه هو الآخر:

-أنت لسه كنت عندها الأسبوع اللي فات والشهر اللي فات نصه كنت هناك... أومال بيتنا ده إيه لزمته.

-على الأقل بلاقى حد أقعد واتكلم معاه، مش حد مش سائل فيَّ ولا أنا في حساباته أصلاً..

-أعمل إيه يعني يا" خديجة"، هو أنا بتدلع، ما أنا بتنيل أشتغل.



-وهو ما ينفعش تعتبرني زي شغلك وتقضي معايا إن شالله ساعتين زمن.

حاول لجم أعصابه وهو يضغط بصبر على فكه محاولاً تمرير اليوم بسلام:

-ينفع يا حبيبتي، ينفع... بس الفترة دي عندنا ضغطة شغل زايدة، وما ينفعش أقول لهم لا مش هشتغل عشان مراتي عوزاني أقعد أونسها وإلا هيقولوا لي طب بالسلامة وخليك جمب مراتك، ونبقى نخلي بابا وماما بقى يصرفوا علينا، ويسفرونا هم أجازة الصيف بتاعة كل سنة.

خرجت منه الجملة الأخيرة ساخرة مستخفة؛ فاشتعل حنقها أكثر وهي تخبره بزهق:

-أنت بقيت فظيع على فكرة.



-لا أنت اللي بقيتي لا تطاقي، إيه نكد في كل ثانية في اليوم!..

أنا تعبت.

-وأنا كمان على فكرة تعبت وزهقت.

-تعبتي من إيه؟!

بتعملي إيه أنت أصلاً، ولا شايلة هم إيه؟!

دي ما بقتش عيشة.

قطع تركيزه صوت صفير حاد من الخلف تحثه على الحركة، حيث فُتح الطريق أخيرًا ووجب الذهاب كلُ لطريقة... ولم يستطع إكمال الحوار معهما أو معرفة ما انتهى عليه هذا الخلاف البائس..

أكمل طريقه وخرج من الزحام لكن لم يخرج الحوار من من رأسه..



الزوج البائس، ما أكثرهم؟!

أصبح يصادفهم في يومه ويسمع شكواهم أكثر مما يسمع تحية الصباح..

ومض في عقله معاده لرؤية العروس المزعومة في نهاية الأسبوع، الذي دبسه فيه أخيه الحبيب وزوجته، ومتحمس لها الجميع إلاه..

وهاجس كريه يحتل أفكاره بخبث محاط بتساؤل قلق..

هل يمكن في يوم أن يحتل هو دور البطولة في المشهد الذي شاهده للتو؟!

هل سيناقش حياته أمام العامة وفي الشارع لكي يكسب السلام من بين نابي زوجته المصون المستقبلية؟!



وهل إن ذهب في يوم حانق، مرهق، لا يقوى على الكلام أو التعامل، كمثل يومه هذا..

ستتفهمه وتهدئه!

أو على الأقل تتركه لحال سبيله، أم ستقيم عليه الحد كما شاهد منذ قليل!

تأفف لمرة أخيرة وهو يمسد جبهته محاولاً تخفيف الصداع البشع الذي يفتك برأسه، حامدًا ربه أنه أخيرًا وصل إلى المنزل سالمًا، تنهد يخرج ثقل صدره وهو يصف سيارته علَّ هذا اليوم الحافل ينتهي بسلام.

**



اليوم: الأحد.

الساعة: الخامسة مساءً.

المكان: بين أروقة المطبخ.

الحالة: جائعة.

فهي لم تأكل شيءً منذ عشاء أمس، ولم تستطع تناول الفطور مع زملائها في العمل بعد أن وصلته متأخرة، تلى ذلك الكثير من التقريع من مديرها المتحذلق، ثم الكثير من الأعمال المتأخرة..

على كلٍ انتهى اليوم أخيرًا وهي لهذا شاكرة، ولكن يجب عليها أن تشكر معدتها أيضًا على الصمود وتأكل، والآن..

وهكذا عند وصولها للمنزل بدلت ملابسها على الفور وذهبت إلى المطبخ لتدلل معدتها المسكينة..

وقفت أمام المكونات حائرة ثم اتخذت القرار وشرعت في إعداد إحدى وجباتها المميزة السريعة..

مرت دقائق وهي مندمجة في صنع وجبتها الصغيرة حتى سمعت صوت أمها يسأل باستفهام:

-بتعملي إيه يا بنتي؟

قلبت الصحن بيدها على المقلاة لتنقلب البيتزا الصغيرة سريعة التحضير بدورها على الوجه الآخر ليطالها بعض الاحمرار الشهي، وأجابت:

-بعمل لي أكل يا ماما... أعمل لك معايا.

-لا يا حبيبتي بالهنا... تعالي بس عوزاكي.

-خلاص البيتزا خلصت أهي هطلعها واجي.

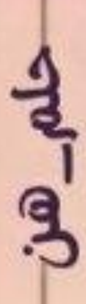
أنهت صنع وجبتها وخرجت تجلس بجوار أمها تسألها عن الموضوع الهام وهي تضع صحنها أمامها على الطاولة..

-اليوم كان عامل معاك إيه النهاردة؟ ...نزلتي متأخر..

أجابت وهي تقضم قضمتها الأولى من البيتزا متلذذة:

-ما كنش ألطف حاجة، بس عدا الحمد الله.

-طب بقول لك إيه، فكرتي في العريس إللي جوز أختك جايبهولك؟



-العريس اللي لسه ما جاش ولا شفته ولا اتكلمت معاه أصلاً !آه فكرت.

-أنت بتتريقي عليا يا بت أنت!

شاغبتها مبتسمة ثم استمرت في تناول طعامها وهي تشرح مقصدها:

-يا عم احنا نقدر بردو، بس أنت كلامك مش عاقل بردو يا ماما، هقبل أتجوز واحد ما شفتوش حتى.

-سبت لك العقل يا عاقلة..

-ماشي يا ست الكل، شكرًا.

صمتت تبتهل انتهاء الموضوع، ولكن أمها اقتربت منها أكثر وهي تكمل:

-ما أنا عرفاكي وعارفة حركاتك... مش أول واحد يعني تقولي هشوفه وأقرر، وفي الآخر ترفضي..

لم ترد عليها واستمرت في مضغ طعامها، وكان في هذا إعلان متواري بصدق والدتها، اقتربت منها أمها أكثر وهي تربت على ظهرها تقنعها باللين:



-فكري بجد، وما تخديناش على قد عقلنا وتقعدي معاه وبعدها تقولي، لا مش موافقة.

-ما هو بيبقى مش مناسب يا ماما.

-هو إيه اللي مش مناسب يا عين ماما، ده كل واحد بيجي بيبقى ما فيهوش غلطة... أنت بس اللي بتتبطري.

"ما فيهوش غلطة" تلك الجملة الساذجة المستفزة تثير حنقها، تنهدت تستغفر وهي تتساءل وقد هددتها شهيتها بالسداد:

-أستغفر الله العظيم... أسيب الأكل وأقوم يعني ولا إيه يا ماما... أنت قاصدة تسدي نفسي يعني!

-يا حبيبتي أبدًا والله، أنا بس عاوزة أفرح بيكي بقى وأشيل عيالك.

-لسه بدري يا بطة.

انقبضت ملامح أمها وهي تنهرها:

-بدري من عمرك يا حبيبتي... أنت مش حاسة بنفسك ولا إيه... أنت داخلة على الـ30.

وقفت عن مضغ الطعام ثم لاكته ببطء وصمت حتى ابتلعته أخيرًا بعسر، ووضعت باقي القطعة من يدها على الصحن أمامها..

تلك الكلمات الباردة كقطع ثلج ذائب على قلبها الرقيق الذي لا يحتمل ألم برودة الصقيع تخنقها..

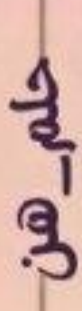
ثم لماذا تتناسى أمها دومًا أنها لازلت في السابعة والعشرين، بل وستتمهم بعد شهر أيضًا...!!



لما تصر على سرقة ثلاثة سنوات كاملة من عمرها فقط لتثبت صدق نظرتها!

ولما ينطق الجميع عمرها وكأنه سبة، أو تهمة، أو عار ارتكبته!

وحتى لو كانت حقًا في الثلاثين من عمرها أو أكثر، هل هذا يعني أن تلقي بذاتها بين أحضان المجهول والذي غالبا ما يكون بائسً، مؤلمً، ومثير للشفقة لأجل هذا الرقم!



نظرت لأمها وهي تبتسم بشفتيها دون العينين قائلة:

-تمام يا ماما، بألف هنا أنت يا حبيبتي.

تركتها وقامت ترحل إلى غرفتها، فنادتها أمها توقفها وهي تذهب وراءها:

-أنت يا بنتي... رايحة فين... كملي أكلك.

-لا شبعت.

وقفت أمامها تمنعها المسير وهي تشرح لها نيتها:

-أنا مش قصدي حاجة من اللي في دماغك الخربانة دي، أنا بس بفتّح عينك على الحقيقة إللي خايفة ما تشوفيهاش غير بعد فوات الأوان..

الحقيقة!

الحقيقة التي تتبناها أمها والكثير، لن تنكر أنها على مشارف الاحتجاز في زنزانة "العانس" و"البايرة" لدنوها من الثلاثين دون أن تكلل أصابعها بتاج الظفر بذكر في حياتها الصغيرة..

لما دائمًا يعد الذكر هو الجائزة، أو المركز الأول في سباق لا تدري كنته حتى..

عند هذا الحد وانطلق صوتها يستفسر بحنق:

-لا إله إلا الله، هو أنا هوافق على أي حد يعني.

-لا مش أي حد يعني... الواد شكله محترم وابن ناس.

-وأنت شفتي شكله فين أساسًا، وكمان هو أنت تعرفيه أصلًا عشان تقولي عنه محترم ولا لا؟!

-آه طبعًا عرفاه... أخو جوز أخت جوز أختك.

ارتسمت ملامح البلاهة على وجه الفتاة وهي تضيق عينيها وتفتح فهما فرجة صغيرة مع رفع حاجب واحد محاولة الفهم والتركيز وربط القرابة، رغم أنها تعلمها بالفعل، ولكن سردها بهذه الطريقة أثارت تخبطها..

نفضت رأسها وهي توقف استطرادة أمها المتوقعة قائلة:



-"سوسن" الله يبارك لك مش ناقصة لفة دماغ، لما يجي يبقى يحلها حلال.

-هيجي وعارفة الحل إللي هتعمليه؛ يا هتطفشيه يا هترفضيه وتقولي مش مرتاحة يا مفترية وتموتيني بحسرتي.

كادت أن تجيب عليها لولا سماعهما لصوت صراخ إمرأة رج البيت بأكمله، آت من الطابق الأسفل..

هرعا إلى خارج البيت سويًا ينظرون أي مصيبة تستحق تلك الصيحة الرنانة.. لمحتا الكثير من الجلبة بالأسفل لتشاهدا مهزلة جديدة وليست بجديدة حقًا عليهم، حيث جارتهم بالطابق أسفلهم تولول وتجر فتاة من شعرها، تسبها هي وزوجها الخائن "الرمرام" وتنعي حظها في الرجال.. في فضيحة دورية، تستغرق بعض الوقت في

الخصام ثم يرجع الزوج مذرفًا الدموع، طالبًا السماح ثم يعود إلى منزله الحبيب فيستقيم فترة من الزمن- أو هكذا تظن -ليتم ضبطه متلبسًا بطريقة مختلفة بفضيحة جديدة يسمعوها من صوت شجارهما الدائم.. تساءلت داخلها باشمئزاز متى يغادر هذان البيت، ويرحموا السمعة المتدنية لهذا المنزل البائس بسبب هذه الشقة...

انتهى العراك ودوى صوت غلق الباب بعنف كاد يخلعه لتلتف هي لأمها وهي تنظر لها نظرة "أعلمتي سبب ريبتي من كوكب المريخ للرجال!"

دخلا إلى المنزل ثانية وأمها تدافع عن اتهام لاقته في عينيها جليًا دون أن تتفوه له في الواقع:



-على فكرة مش كلهم وحشين ولا زي" عماد "الحقير ده، في رجالة محترمة. اقتربت منها وهي تمسك كتفيها مبتسمة بإقرار يائس:

-كلهم مصطفى أبو حجر، أو أبو تورتة أيهما أقرب..

أنا بس إللي هتجنن منه هي ليه قعدة على ذمته بعد كل ده!

-عشان ما ينفعش الست تعيش في الحياة لوحدها.

هزت رأسها بأسى واشمئزاز:

-قلة قيمة.

وطبعت قبلة سريعة على خدها ثم انطلقت إلى غرفتها وأغلقت الباب ورائها، لتضرب أمها كفً على كف بهم وهي تغمغم بضيق:

-كان وقتك ده يا "عماد" الزفت.



وغادرت إلى المطبخ لإعداد طعام العشاء.



الإثنين.

3/1/2022.

***

الحياة اختيارات..

طرقات متعددة، متشابكة ومتشابهة... ولكن في واقع الأمر كل طريق بعيد كل البعد عن الآخر، ومختلف تمام الاختلاف عن غيره.

والإنسان هو الوحيد المسؤول مسؤولية كاملة عن تلك الاختيارات، وإن وقع خطأ تافه كان أو كبير فهو المسؤول الأول والوحيد عنه بنسبة مائة بالمائة..

لذا لا يجب عليه أن يهرول باكيًا عندما يخطئ أو يقع في ورطة ..فهو الوحيد المسؤول عنها..

هكذا هو يأمن..

لذا هو يخشى المجازفة..

المجازفة بقبول الزواج، أو المجازفة بالعيش وحيدًا..

كلاهما مجازفة غير مأمونة العواقب..

والقرار يقع على عاتقه، وإن حدث سوء لن يلوم أحدًا سواه ..لذا هو يعجز أمام الاختيارين.

لكنه لا يعلم أن كثير من تلك الاختيارات قد لا تكون حرة بالفعل؛ وتكون مسجونة بكثير من الإيحاءات الشفافة والأفكار الخبيثة الجاثية على أنفاس اختيارتنا الحرة، بعدما تشابكت وخلقت من كلمات وتجارب الغير..

كما يحدث الآن..



فاليوم هو معزوم لقضاء اليوم عند أخيه وزوجته بعد الانتهاء من يوم عمله..

والدافع بالطبع معلوم ..."غسيل مخ."

وصل وتبادل السلام والتحية مع أخيه، لتأتي زوجته وهي تعلن حانقة أن لا وقت للسلام والسؤال عن الأحوال، إنه وقت الطعام كما أنه تأخر بالفعل..

أنهوا الغداء وهو متلذذًا به لا يبغي تركه لولا الشبع؛ طعامها ممتاز حقًا لن ينكر، كما أنه افتقد الطعام المنزلي منذ آخر زيارة لهم..

جلسا هو وأخيه أمام التلفاز ليتبادلوا بعض الأحاديث، لحين جاءت صاحبة البيت بالشاي وطبق الفاكهة تستمر



في تقديم واجب الضيافة، أعلن لها وهو يأخذ منها كوب الشاي:

-تسلم إيدك يا "فيري"، الواحد بقاله كتير ما أكلش أكل محترم كدة...

قالت له بصيغة مغرية ولم تجازف بضياع الوقت وهي تقطع التفاح وتسلمه لزوجها قائلة له:

-عارف يا "وِتر"... إن شاء الله يحصل نصيب كده وتتجوز... وهتاكل كل يوم أكل أحلى من ده كمان.

قالتها وهي تميل له طبقه هو الآخر، ليأخذه متحيرًا بأيهما يبدأ الشاي أم الفاكهة..

رد عليها بمشاغبة محببة:



-أهلاً... احنا ابتدينا... أنا خايف والله لتكون تدبيسة وليكي نسبتك.

-فشر، طب والله دي "وَتر" قمر، وألف مين يتمناها.

وضع الصحن أمامه وهي يضيق عينيه سائلاً بعدم تصديق:

-إسمها إيه ياختي؟

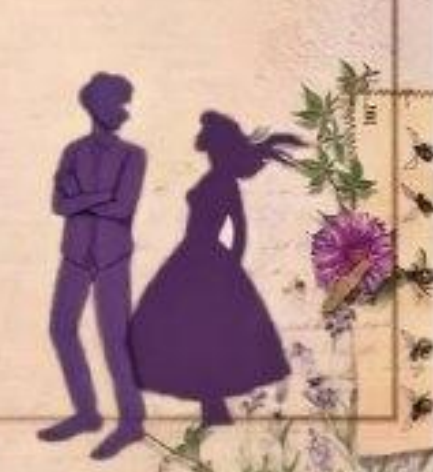
-"وَتر".

-"وَتر"...!

يعني هي "وَتر"، وأنا "وِتر"... هي ناقصة لخبطة..

-طب بذمتك مش matching ؟!

-طبعًا أومال إيه...



قالها باستهزاء واضح، لتهز رأسها يائسة وقامت ذاهبة للمطبخ، فسألها زوجها بنبرة الهادئة:

-رايحة فين؟!

-هجيبلكم الكنافة.

بعد ذهابها واختفاءها بالداخل، أيده أخوه حاسدًا:

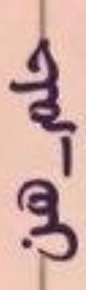
-والله جدع ياض، بلا جواز بلا وجع دماغ، أنت كدة عايش ملك.

-الحقي يا "فادا"...

مال عليه يكمم فمه ويأمره بالصمت بينما" وِتر" يضحك من خوف أخيه، لتخرج" فادا" سائلة باستغراب:

-ششششش.

-في إيه؟



رد عليها" وِتر" بمزاح متساءل، ولم يفتن على حديث أخيه من باب الستر على مسلم:

-الكنافة فين يا فوزية...

-جاية اهي.

ذهبت من جديد مستغربة ليمسك "إسلام" بوسادة من وراء ظهره ويستمر بضربه والآخر يضحك بتشفي..

رجعت لتجد "وِتر" مستمر في الضحكات الصامتة، بينما "إسلام" -زوجها- ينظر له حانقًا وهو يرمي المخدة من يده بعيدًا.. ليأتي دورها وهي تنظر لهم متشككة، ثم تسأل وهي تشهر سكين التقطيع في وجهيهما:

-أنتوا بتبصوا لبعض كده ليه؟!



-احم، سر بين أخين... المهم، البنات فين ما شفتهمش من وقت ما جيت...

-في الدرس شوية وجايين... خلينا فيك أنت...

ممكن تعقل المرة دي وما تطلعش في البني آدمة القطط الفاطسة.

-لا إله إلاّ الله، ماهي القطط الفاطسة دي بتبقى حقيقة فعلاً، هو أنا بتبلى عليهم... أنتوا بتجيبوا لي خوازيق.

-والله إنك مفتري... دي كل واحدة أحسن من اللي قبلها.. أدب، وتعليم، وجمال، ونسب... أنت اللي بتستهبل.

تنهد وبدأ بسؤال يود حقًا معرفة إجابته:

-جماعة هو أنا عدم جوازي مضايقكم في إيه؟

-عاوزين نطمن عليك يا "وِتر".



وأكمل" إسلام "بحنق:

-لو مُت فجأة في الشقة لوحدك دلوقتي، تقدر تقول لي مين هيجيب لنا خبرك غير بعد ما تعفن في البيت وريحتك تطلع للجيران.

ضربته "فادا" على ركبتيه بخفة وهي تقرعه بنظرتها على تلك الكلمات السامة، بينما "وِتر" هتف بجزعٍ:

-يخرب بيت ألفاظك، مش كده.

-هو كلام الحق بيوجع.

-طب يا عم تشكر، أنا ماشي.

وقف "وِتر" بالفعل للذهاب، لتصيح فيه" فادا"، ويجذبه "إسلام" من مرفقه يجلسه من جديد وهو يهتف بدوره بعد زوجته..

-أقعد يا "وِتر"، "إسلام" بيهزر.

-اترزي بقى قرفتنا...

-أنا اللي قرفتك، دا أنت كلامك زي السم.

-أنا بتكلم كلام عملي، وموت الشباب كتر يا بني.

قالها ببؤس وعيون ناعسة حزينة وهو يضرب بيده على فخذ أخيه محذرًا، لينظر له الآخر بعيون ضيقة مرتابًا، مبتعدًا وهو يصيح:

-أنت اشتغلت حنوتي بعد الضهر يلا.

قاطع حوار الأشباح هذا جرس الباب ثم دخول الصغيرتين تركضان نحو "وِتر" مهللين..

ظل يلعب ويمرح مع الصغيرتين، متجاهل كافة المحاولات لاستعادة الحوار من جديد..

ولم يفته ملاحظة التوتر الخفي بين أخيه وزوجته، والكلمات الشحيحة بينهما، والنظرات الهاربة...

تلك ليست عادتهم الصافية، فعند ساعات الهدوء والسكينة يكون البيت مزدحم بأحاديثهم وضحكهم وهو خير من يعلم..

كما أنه خير من يعلم من صمت أخيه معظم الأمسية أنه يخفي كثير من الضجر وقت انفجاره يكون البيت كالجحيم..

عند نهاية اليوم أعلن وجوب الرحيل وتأخر الوقت ليوقفه "إسلام" ويخبره أنه سينزل معه يوصله ويمشيان سويًا قليلًا حتى بيته، واستعدوا للذهاب فأوقفته "فادا" عند الباب تخبره محذرة:

-بقول لك إيه، أوعى تتأخر يوم الخميس، ما تحرجناش مع الناس.

-ربنا يسهل... سلام.

*

مشيا متجاورين في صمت دون أن ينطق أحدهما بشيء فترة من الوقت...

"إسلام" ينظر للأسفل أثناء سيره وهو يضع يديه في جيب سرواله يتأمل في شيء ما على الأرض سقط منه على ما يبدو، و"وِتر" يتأمله صامتًا حتى ملّ فقاطع هذا الصمت وهو يخبط مرفقه بخاصته متسائل:

-إيه يا عم، مال وشك مكرمش كده ليه، ما تفكها.



-يا عم لا مكرمش ولا حاجة، دماغي مصدعة شوية.

-صداع قولت لي، الشغل معاك تمام؟!

-آه زي الفل الحمد الله.

-أومال متخانق مع مراتك!

تأفف وهو يغير الموضوع فأتاه الجواب واضحًا دون رد صريح:

-خلينا في موضوعك أنت... أنا عارف البنت المرة دي، وبصراحة ما تتسبش يا" وِتر".

رد عليه بملامح وجه ملولة:

-انتوا زنانين ليه المرة دي؟!



زعق فيه "إسلام" وهو يلقي عليه بسهام الحقائق ككلمات علَّه يستفيق من غفوته قبل فوات الأوان:

-يمكن عشان أنت بقيت بتستهبل شوية...

يابني أنت بقى عندك 32 سنة، هتعمل عائلة امتى !وأنت في الـ!60

-"إسلام " أنت مال كلامك زي السم انهارده ليه كده؟!

-عشان أنت بقيت مستفز، مش شايف نفسك وحاسسها لسه عيلة صغيرة، أنت كمان كام سنة على النظام ده وهندلل عليك... في إيه مالك... إيه مش عاوز ست في حياتك.



قال جملته الأخيرة وهو يرمية بنظرة ذات مغزى لا تخلو من بعض الحدة، ليرد عليها" وِتر "بدوره بملل وإصرار وهو يحرك يديه داخل معطفه لا يجرأ على إخراجها في هذا الجو الأوروبي الهيئة على أرض مصر الجديدة:

-يا عم عايز عايز، بس مش عايز مشاكل وقرف.

-الحياة كلها مشاكل وقرف.

أقرها له بشيء من روتينية، ليصر "وِتر" على وجهة نظره:

-بس مشاكل عن مشاكل تفرق.

-والله كلها مشاكل، البيوت كلها مشاكل، والستات كلها متعبة وحاجة تسد النفس عن الحياة كلها، بس لازم نجوز، نعمل إيه!

انتفخ وهو يرد عليه بزهو مستعرض حريته:

-قول بقى إنك بتحسدني عشان كدة عاوز تدبسني أبقى سجين النكد زيك...

رد عليه "إسلام" دون نفي وهو يبتسم وقد بدأ يشعر ببعض التحسن بالمزاح مع أخيه:

-يعني مش هنكر إن جوايا حتة شريرة كدة بتحقد عليك، بس عادي يعني...

-ربنا ما يجعل لنا جار وله عنين.

دقيقة صامتة أكملوها بعد هذه الضحكات، ثم سرح كلٍ منهم في عالمه حتى توقف" إسلام "لحظة وهو يصرح بخاطر شرير وعيون ضيقة وبسمة مائلة قليلاً للجنب قائلاً:

-أنا بفكر جديًا أتجوز عليها.



-يا شيخ اتنيل، أنت قادر على واحدة لما تقدر على اتنين.

توقف "إسلام" معترضًا، وهو ينظر له من علو ونظرة "شبحنة" تحتل ملامحه:

-لالالا تقصد إيه، دا أنا راجل أوي.

-مش إللي في دماغك الشمال يا سو...

أنا قصدي مش هتلحق تخطب أصلاً غير وأنت متقطع ومتعبي في أكياس سودة، وتبقى شهيد الزوجة التانية.

قالها ضاحكًا ليشاركه" إسلام "ضحكاته وهو يعلق:

-اتريق يا أخويا اتريق.

-مالك ياض بجد، أوقر ليه المرة دي كده.

-زهقت يا "وِتر" زهقت...



ما بقاش عندها غير البنات، أهم حاجة في الدنيا البنات..

لا.. عشان البنات..

ما ينفعش.. عشان البنات..

أعمل.. عشان البنات..

ما تعملش.. عشان البنات..

وأبو البنات يولع، مالوش لزمة، مالوش طلبات، مالوش أي أهمية في الحياة غير إنه مكنة ATM وبس..

وأتكلم ولا أنطق ما أخلصش من النكد..

نكد، نكد، نكد..

ما أنا إنسان وليا طاقة كمان.



وقف "إسلام" في منتصف الطريق مدركًا سذاجة توقيت حديثه ليقر بغبائه على هيئة سؤال:

-أنا غبي إني قولت الكلمتين دول دلوقتي صح؟!

هز رأسه موافقًا وهي يزم شفتيه للأمام كاتمًا ضحكة مريرة تود العبور:

-آه بصراحة غبي معاك حق، شوف أنت مش أخويا الكبير؛ بس غبي.

-حبيبي... حبيبي يا "وِتر" والله

ضحكا سويًا، هذه الضحكة المريرة الممتزجة بهزة الهم الخفيفة المعبرة عن تخبئة زلزال بأسفل حنايا القلب..

قال "إسلام" بعد برهة صمت وهو يقر الحقيقة من منظوره، وليمحي أثر كلماته الفائتة:

-عارف خلاصة الحوار، إن ما حدش عاجبه حاله، ولا هيعجبه مهما حصل...

ما ينفعش تعيش من غير مشاكل..

الحياة مع حد بمشاكل آه صعبة، بس من غير الحد ده حتى بمشاكله لا تطاق.

وعند تلك الجملة كانا قد وصلا أسفل البناية التي يسكنها "وِتر" ليعرض عليه بصدق راغبًا في عدم إنهاء هذا الحديث:

-طب اطلع اقعد شوية...

رفض" إسلام "بمرحٍ يحاول استعادته وهو يسلم عليه ذاهبًا:

-لا يا عم، أروح ألحق الكنافة... سلام.



صعد "وِتر" شقته يفتح أضواءها الخالية، الهادئة من المشاكل، وكلمات أخيه تضرب عقله دون رحمة.

ارتمى على الأريكة وعقله يصارع مخاوفه..

ما بين كلمات أخيه نتيجة تجارب الجميع يقف هو عاجزًا..

أي قرار سيتخذه لن يتحمله أحدًا سواه..

"الحياة مع حد بمشاكل آه صعبة، بس من غير الحد ده حتى بمشاكله لا تطاق."

ربما يكن معه حق، ولكن هو أيضًا معه حق فليست كل المشكلات سيان.

**



الحياة اختيارات..

مهلاً، من الأحمق الذي أشاع هذا؟!

الحياة إجبار متنكر في ثوب اختيار..

الحياة بأكملها طريق بخطٍ واحد متعدد الأوجه يوهمنا بأننا مختلفون، لكن في الحقيقة ما نحن إلا مجموعة حمقى متلوني الوجوه..

حمقى نظن من ركضنا في طريق ممهد بالفعل هو الاختيار الأرشد بإرادتنا الحرة ونتغنى بمسميات "سنة الحياة"، أو "طبيعة الكون" أو أو أو..

هي لا تكره الطريق ولكن تكره الحتمية..



لما يحتم عليها السير على صراط حاد كالسيف وهي تعلم أن ما ينتظرها ليس النعيم، وإنما في الغالب جحيم متنكر..

هنا كل الطرق تؤدي إلى روما، حتى وإن كانت وجهتك هي النرويج.

هكذا هي تؤمن..

تؤمن أن الجميع يقلد دون تفكير خوفًا من الحاكم المجحف، وعندما يدركوا ورطتهم يتحولوا هم ذاتهم إلى هذا المجحف الذي كانوا يخشوه فيما مضى..

فيتحولوا في نهاية الأمر إلى قطيع، وما أن تنجرف هي عن القطيع، أيًا كانت أسبابها ستنهال عليها لعناتهم..



ولماذا...؟! لأنها تحمي ما عجزوا هم عن حمايته؛ تحمي روحها من الألم..

لكنها تخشى الاعتراف أن بعض الطرق لا تكون اختيار قدر ما تكون حاجة، أو فطرة..

أو ببساطة بعض الطرق لا تُمشى بل يُسكن إليها.

وهي لا تنكر حاجتها للسكن، لكن ماذا إن كان هذا السكن في حقيقة الأمر ما هو ألا شبح لوحشٍ ضاري!

لا تدري لما تحتل تلك الهواجس الخبيثة رأسها الآن!

وما غرس تلك الأفكار أكثر في تربة أفكارها سماعها لشكوى إحدى صديقاتها



عن زوج أختها -أو طليقها للدقة -ورفضه دفع مصروفات الأبناء الشهرية، وأقساط مدارسهم معلقة كذلك منذ شهرين..

كما حكت أيضًا أنه قدم للمحكمة أوراق بمفردات راتب ضئيل لتحكم لهم المحكمة بمصروف شهري لا يسمن ولا يغني من جوع..

رغم أن أختها تقسم أن راتبه يفوق هذا الرقم بأربع مرات على الأقل..

لتمنع هي الصغار عن رؤيته، والتواصل معه كعقاب على عقابه لها..

فشاطت خلاياها هي عند هذه النقطة..



حسنًا هما ناضجين وانفصلوا وتنافرت طرقهم، فما ذنب الصغار في تلك المهزلة..

لما لا أحد يدفع ثمن هذا العبث سواهم..

هذه هي غلطتها، أنها اختارت لأولادها وغد بدلاً من أب..

وأنها اتخذت من درب الحقارة طريق مثله..

نفضت تلك الأفكار عن رأسها وهي تفتح باب المنزل لتقابل أختها العزيزة وهي جالسة على الأريكة تقطع شرائح البطاطس لتناديها بصخب:

-إيه ده... "تمارا" عندنا، وأنا أقول البيت ضلم ليه.

-يا رخمة.

أخذتها بين ذراعيها في عناق طويل وهي تصرح لها بشوق:

-وحشاني.

ابتعدت "تمارا" وهي تأنبها بخاطر حزين منها:

-لو كنت وحشاك كنت جيتي مرة حتى تشوفيني عاملة إيه...

-غصب عني والله، متدبسة في مشروع في الشغل واكل كل وقتنا.

-ماشي يا باشمهندسة، على العموم أديني قعدة معاكوا يومين؛" أحمد "مسافر وجاي يوم الأربع، وفرصة أوضب الشقة

مع ماما عشان "وِتر" لما يجي، ما أنا عرفاكي هتعملي عبيطة..

سألت باستغراب وجهل حقيقي:

-مين إللي يجي؟!



-"وِتر".

-"وِتر"...! مين "وِتر" ده!

-العريس يا "وَتر".

قالتها أختها حانقة، ورددتها "وَتر" وراءها بتهكم:

-"وِتر" العريس يا "وَتر"...

هو اسمه "وِتر"... وده لما أجي أدلعه أقول له إيه... يا تويتي.

-لا، قولي له يا "توتا" زي ما بندلعك يا خفة.

وبعدين بتتنمري على إيه، شوفي اسمك الأول قبل ما تتريقي على اسمه.

-ما هي دي الوكسة، يعني خلصت الأسماء كلها مش لاقين لي غير ده ... هي ناقصة وجع دماغ.

-دا أنت فظيعة.

أعلنتها وهي تبتسم بخفة على شغب أختها، ثم تركت ما بيدها وهي تعرض عليها مشاركتها في الذهاب لممارسة الرياضة:

-بقول لك إيه يا "وَتر" ما تيجي معايا الچيم ما بحبش أروح لوحدي.

-چيم !بس أنا بنزل يوم الجمعة ..كمان ده ساعة والمغرب هيأذن.

-تعالي معايا النهارده وخلاص، أنا عاوزة حد يشجعني ... وبعدين ده شارعين من هنا يعني مش مشوار ..عشان خاطري يا" توتا"... يلا، يلا، يلا.



قلبت الأمر في رأسها، ولم تستطع الرفض بعد هذا الاستعطاف الممزوج بتلك اللهجة وتعبيرات وجهها الحزين:

-طب استني أغير هدومي... مع أني كنت جعانة.

-ناكل لما نيجي الأكل مش هيطير، أنا هروح أرضع البنت عشان ما تعيطش واحنا مش هنا وتغلب ماما.

أمسكتها "وَتر" من مرفقها وهي تتساءل بطفولية، وملامح وجه مشرقة:

-يا كوووكي... هي صاحية ولا نايمة، عاوزة أشيلها العب بيها شوية يا "مارو" عشان خاطري عشان خاطري.

نفضت "تمارا" يدها وهي تضحك صائحة:

-إيييه، تلعبي بإيه يا بنتي أنت مش هتعقلي، روحي غيري هدومك يلا خلينا ننزل.

تأففت بعبوس وعيون محبطة:

-أوووف طيب.

شاهدت أختها تذهب إلى غرفتها، فهمست لنفسها بوعد مرح كطفلة ستنال الحلوى المفضلة لها بعد أداء بعض الواجبات المنزلية:

-لما أجي هلعب بيها براحتي.

وقامت تجري لتغير ملابسها.

*

في جيم خاص بالسيدات، وعلى المشاية الكهربية بدأوا تمرينهم دون حديث لبعض الوقت، حتى بدأت" وَتر " باستفهام هادئ عن ما يؤرقها:

-مالك بقى، زعلانة من إيه؟



مثلت "تمارا" الدهشة وهتفت مستغربة ولكنها بالغت في التمثيل بعض الشيء:

-أنا زعلانة...! أنا مش زعلانة من أي حاجة.

غيرت "وَتر" شكل وجهها في تعبير شهير عن كونها مفضوحة:

-بتكدبي أوڤر أوي أنت.

-احترمي نفسك واحترمي أختك الكبيرة يا مهزأة.

-حقك عليا يا أختي، حقك عليا يا كبيرة.

صمتت تعلم أن ثواني وسوف تخر لها هي بكل شيء من تلقاء نفسها دون ضغط، ولم تمر ثواني إلا وتحدثت بالفعل قائلة بعبوس:

-أنا و"أحمد" متخانقين.

-وإيه الجديد!

تساءلت وهي تحرك كتفيها دليل على اعتيادية الوضع..

هم دائمي الشجار، كما دائمي القرب..

هذا النوع الذي تلقاه في أي مكان ملتصقين ببعضهما ولا يسمح أحد للآخر أن يبتعد عن نظره، كما أيضًا في أي زمان تشهد تبرمهم من بعضهم البعض..

أوقفت "تمارا" الجهاز لتتوقف عن المشي، بوجه يدنو من الانفعال:

-أنت باردة على فكرة.

ضحكت بخفة تسترضيها، لكي لا تكسبها مزيد من الضيق:

-طب ما تزعليش، متخانقين ليه.

-ما أعرفش.

-نعم!

قالتها "وَتر" وهي ترفع حاجبيها باستفهام حانق، وبتعبيرٍ آخر نظرت لها نظرة "نعم يا أختي"، فردت "تمارا" بجدية غير عابئة برد فعلها:

-أيوة ما أعرفش كنا كويسين وزي الفل، اليومين إللي فاتوا اتقلب من غير مبرر، زعيق وتلاكيك على أتفه حاجة...

ومن ساعة ما ولدت وهو عمال ينقد في شكلي وجسمي كل شوية..

أنت تخنتي، بصي جسمك بقى عامل ازاى، مناخيرك كبرت، بقى عندك كرش؛ كرهني في نفسي.



صمتت "وَتر" تداري اشتعالها عنها لكي لا تزيد من حزنها أكثر، بينما هي سألت بهمس سارح حزين:

-هو أنا شكلي بقى وحش؟

-مين المتخلف اللي قال كدة؟

سألت "وَتر" بملامح ممتعضة، بينما ابتسمت "تمارا" بانكسار حزين وهي تجاوب عليها:

-جوزي.

-متخلف.

ردتها لها بسلاسة، لتضحك لها "تمارا" وهي تحذرها:

-لسانك ده هيوديك في داهية... لميه شوية لما تقعدي مع الراجل...



زادت من سرعة الجهاز أكثر لتركز انتباهها وهي تجيها

مغيرة الموضوع لتخفف من حرجها:

-مش دي الحقيقة، بعدين "وِتر" ده اللي تبع جوزك

الحنين، ربنا يسترها.

-على فكرة "أحمد" بيعزك و"وِتر" بجد شخصية محترمة.

-معزته ما تفرقليش طول ما هو مزعلك... بعدين بلا

شخصية محترمة بلا بتاع، أنا مش عاوزة تعب قلب، أنا

كده أحسن.

-طب يا ستي معاك إنك أنت كده أحسن من غير راجل

يقرفك، مش عاوزة نونو صغنن زي "كوكي" تلعبي بيها كده.

توقفت عن الجري ونزلت من على الجهاز وهي تتنهد:

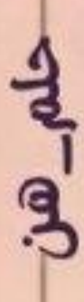


-نفسي طبعًا، بس مش عشان نفسي في بيبي أظلمه وأجيبه في نكد وتعب.

توقفت "تمارا" بدورها وهي تحاول التقاط أنفاسها:

-النكد والتعب في الدنيا كلها يا "وَتر"، وحتى الجواز زي ما فيه الوحش فيه الحلو.

وضعت يدها على خصرها وهي تعترف لها بخوف قلق يسطع من عينيها، وأجابتها بصوتٍ خفيض:



-أنا ما شفتش غير الوحش.

-أنت لا شفتي الحلو، ولا الوحش...

ما تحكميش على تجربتك إللي ما عشتهاش أساسًا من تجارب إللي حواليكي..

مش يمكن حظك يبقى أفضل.

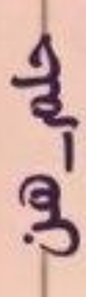
كابرت بعناد يتلبس رأسها:

-وأنا إيه إللي فيَّ زيادة ولا أحسن من الناس عشان يبقى حظي أحسن بقى.

-القدر ما فيهوش ليه، ولا اشمعنا يا" وَتر"...

ما تظلميش نفسك بخوفك وتضيعي فرصة من إيديك ممكن ما تتعوضش تاني.

هم يرونها "فرصة لا تعوض" وهي تخشى أن تكون حفرة لن تبصر عيناها فيه النور من جديد..



تنهدت "وَتر" ونظرت لها بقلة حيلة حائرة ولم تعلق..

ذهبا لتبديل ملابسهما ولاحظت "تمارا" شرودها اليائس فقررت اقتناص لحظة سلام مرح لكلتاهما قبل الغرق في سيل الحياة الجارف..

عرضت عليها تناول العشاء سويًا قبل الذهاب للمنزل

ووافقت "وَتر" دون تفكير..

اختلفتا الاتنين بسبب نوعية الطعام ومكانه وتشاكسا مغيظة كلٍ منهما الأخرى بذوقها البائس حتى اتفقا أخيرًا في النهاية على تناول البيتزا، ثم تناولا المثلجات متحديتين برودة الشتاء وهما يمشيان بجانب بعضهما يثرثان بمرح كما كانتا تفعلان في سنين مضت..

ذهبتا أخيرًا قرب العاشرة للمنزل وما إن دلفت "تمارا" إلى المنزل حتى هرعت إلى طفلتها تطمئن عليها ولحقتها "وَتر" تلاعب الطفلة وتأخذها بين أحضانها ضاحكة، حتى غفت مجددًا فتركتها وأختها تستريحا، وذهبت لتنام هي الأخرى دون أن تفكر في شيء..

ذهبت وهي تلقي على عقلها فرمان بالتوقف، وأخذ القليل من الراحة..

هي لن تفكر في شيء، ستدع حدسها يرشدها أو التيار يجرفها..

وطالما أنها ستندم في كل الأحوال؛ فلتتندم دون إرهاق عقلها بالتحليل، وقلبها بالخوف على الأقل الآن.



الثلاثاء

4/1/2022.

***

إن أردت اقتناص السكون من بين براثن الجلبة..

إن أردت لحظة هدى بين غياهب ساعات التيه..

إن أردت مرشد أمين يرافقك في متاهة أفكارك..

اذهب إلى كتاب صامد على رفٍ مهمل ينتظر السفر مع مكتشفه..

اذهب إلى صفحاتٍ باسلة تزخر بالكثير من الحروف الملهمة، والحكايات الغامضة التي تهديك في النهاية مفتاح البصيرة..

اذهب إلى بيتٍ للكتب، أو اذهب إلى بيتٍ لكبار السن..

كلاهما سيهدي ضالتك..

وكلاهما سيرشدك إلى بقعة ضوء تعجز عن رؤيتها، أو ثقب أسود غافل عنه..

فنحن والكتب حياة واحدة بشريان واحد..

نحن كتاب مفتوح تسطر عليه الأيام حكايتنا، وترمي به في سطور آخر كشخصية ثانوية تطوع لغيرنا أحداثه..

والكتب تستسقي روعة وهجها الخاطف من أسرار ذكرياتنا الدفينة، وأحاسيسنا المكنونة.

كلٍ منا فرد في رواية مفتوحة الأحداث، ومستمرة الذروات..

حتى قرب النهاية..

الساعات الأخيرة..

الفصل الأخير..

السطر الأخير..

كرجلٍ كبير ينعم بسطوره الأخيرة..

كقارئ نهم عاش في ألوف الحكايات، وجلس مبتعدًا عن صخب باقي الحكايات أسفل شجرة هادئة يراجع أحداث الحكاية الأخيرة؛ حكايته..

يستمد منها الابتسامات الشاردة والدمعات الهاربة من ذكرى مدفونة..

لذا إن أردت أن تستكين، اذهب إلى حيث يقبع أباءك الأولين..



كما ذهب "وِتر" عصر هذا اليومِ إلى ملجأه الدائم كلما شعر بالحياة تضيق عليه الخناق..

"دار الأمان لكبار السن."

دخل "وِتر" إلى مكتب الاستقبال وحيَّ الشاب الجالس خلفه يراجع أوراق في يده بتركيز، وعندما سمع الصوت رفع له بصره وابتسم يرد عليه بحبور وترحاب:

-أستاذ "وِتر" ازي حضرتك... فينك كده غيبتك طالت!

-حبيبي يا "عدول"، أنا زي الفل والله بس انشغلت الفترة اللي فاتت شوية وماعرفتش أجي... إيه أخبار الدنيا هنا، عاملين إيه؟

-زي الفل... عم "يونس" بس تعب شوية الفترة إللي فاتت واتنقل للمستشفى ولسه راجع من كام يوم كده.

تغضن جبين "وِتر" وهو يتساءل بقلق على رفيقه الكبير المشاغب:

-لا إله إلاّ الله، إيه اللي حصل؟

أجابه الشاب باستياءٍ معتاد وهو يهز كتفيه:

-أزمته المعتادة إللي حضرتك عارفها...

-طب أنا هعدي على الناس الأول شوية بعدها هروح أطمن عليه واقعد معاه.

مر على بعض الناس القريبين لقلبه هنا يطمئن على أحوالهم، يتحادث معهم ويمازحهم، يستمع لشكواهم بصبرٍ وصدرٍ رحب، يواسيهم لأحزانهم ويسمع حكايتهم..

حتى انتهى وذهب إلى عم" يونس" الحبيب..

هذا الرجل الطيب الذي يشعر بوجود رابط ما بينهم، هذا الرجل الذي يرسو عنده يشكي دون ردع لأي شكوى أو خوف داخله، ويستمع له كلما ضاقت عليه سبل البشر بتناقض أحاديثهم التي لا تنتهي..

طرق الباب ودخل دون أن يأخذ الإذن بالسماح، ثم نداه بصخب وذراعين مفتوحتين:

-"يونس" يا "يونس"...

-إيه الدوشة اللي أنت عاملها دي.

قاطع "يونس" استرساله الصخب، فتوقف" وِتر" في منتصف الغرفة وأسقط ذراعيه بخيبة وهو يخبره بصوت خائب:

-بأفاجئك.



-بتفاجئني إيه منا عارف إنك هنا من ساعة.

ذهب "وِتر" يجلس بجواره أمام النافذة المفتوحة في محاولة لتدفئة الغرفة بشعاع الشمس الشحيح الآتي من بعيد..

جلس جواره براحة وهو يتأمل وجهه المريح مرهق القسمات..

ترى هل تجاعيد وجهة الكثيرة زادت، أم أنه توهم!

كل تجعيدة مرسومة على وجهه العريض المنحوت تواري خلفها حكايات، قص عليه منها الكثير ولا يزال الأكثر يجهله..

سافر بفكره أبعد وهو يفكر..



تلك التجاعيد هي الأثر المبين لانتصار الزمن عليه في حرب لا ينجو منها أنسي..

تلك الملامح التي توشي بوسامة قديمة كان يتباهى بها كما حكى له مرات أصبحت اليوم شيء من ذكرى بعدما تركت له بعض من رتوشها كتذكار..

ترى هل يمكن أن تنقلب الأحوال بعد سنين ينتصر فيها الزمن عليه ويجلس هو على كرسي مشابه وربما في ذات المكان، يحكي لآخر حكاياه ويقص عليه حماقته ويجد فيه الصحبة والعائلة له!

هل يمكن في يوم أن يجلس ينظر

قطع "يونس" تأمله بسؤال متواري:

-غيبتك طالت المرة دي.



-كنت محشور في شوية مشاغل كده والله.

-وإيه... المشاغل خلصت!

-المشاغل ما بتخلصش يا "يونس"، هي بتخلَّص علينا بس.

قالها "وِتر" بمرحٍ مبتسم، فرد عليه يونس على الفور بسؤالٍ جاد دون أن يبادله المرح:

-أومال إيه اللي جابك؟

اعتدل "وِتر" في جلسته وهو يتساءل عن سبب تلك المقابلة:

-الله، ليه المقابلة الناشفة دي يا "نون"، وحشتني يا أخي.

نظر له الرجل بنظرة لئيمة وهو يسأله بشك:

-يا واد!



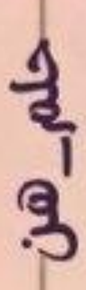
مثل "وِتر" المفاجأة وهو يضع يده على صدره مصدوم:

-إيه ده أنت مش مصدقني يا "نون"...! أنت تعرف عني إن أنا ندل!

-أنا ما عرفش عنك غير إنك ندل يا "وِتر".

أغمض"وِتر" عينيه لحظتين موافقًا بابتسامة وهو يكمل مشاغبته مبتسمًا ثم غامزًا:

-بغض النظر عن صحة المعلومة دي، بس أنا مش ندل معاك أنت يا حلو.



ابتسم يونس أخيرًا وهو يرد عليه معلنًا السماح:

-ماشي يا بكاش، قول لي بقى كنت مشغول في إيه؟

ثم مال عليه وهمس له بصوت خطير:

-لتكون اتجوزت يا واد.



-عيب عليك... أنت تعرف عني إن أنا وش كده.

عاد "يونس" لجلسته من جديد وهو يلوي فمه قائلاً

بفقدان أمل:

-لا أنت مش وش نعمة فعلاً.

-حتى أنت يا "يونس"... إيه يا جماعة في إيه هو مابقاش في

موضوع في الدنيا غير الجواز!

-وده ما بيلفتش نظرك لحاجة!

-حاجة زي إيه؟!

-إنك قرفتتا مثلاً.

-مهو من القرف اللي بشوفه طبيعي اقرفكوا

-بتشوف إيه بقى ياخويا!



-بشوف نص اللي بيتجوزوا بيتطلقوا!

علق "يونس" بسلاسة:

-عشان حمير.

-والنص التاني متنكد عليهم، ويا إما قاعدين متكدرين عشان عيالهم يا إما مربوطين من رقابيهم بمؤخر يوديهم كلابوش.

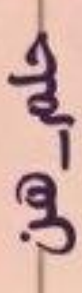
رد عليه بذات السرعة والسلاسة:

-عشان بهايم.

رفع" وِتر "حاجبه وهو يضع يده على ثغره متساءل:

-أيوة يعني يعملوا إيه يا طبيب القلوب؟!

-يختاروا صح، يفوتوا لبعض، يقربوا من بعض، يعرفوا إنهم الباقيين لبعض.



-إنشا أوي اللي بتقوله ده يا "يونس".

اقترب منه يونس من جديد بوجه ممتعض وهو يسأله:

-أنت مالك ياض بقيت بائس وكئيب كده ليه!

-عشان كل الشواهد اللي حواليا ما بتقولش غير كده يا "يونس"

-شواهد إيه، وأنت مالك ومال الناس، ليه ما تفترضش الخير.

-طب افرض بقى افترضت الخير، قولت.. تمام، ماليش دعوة بكل التجارب السودة إللي واضحة زي الشمس للأعمى، وجيت اتخزوقت بعد كده... هعمل إيه؟!

صمت" يونس "بعض الوقت وهو ينظر له بتأمل مفكر ثم سأله بوضوح:

-عارف المثل إللي بيقول لك إللي يخاف من العفريت يطلع له.

صمت "وِتر" متعجبًا لا يدري بماذا يجيب، و"يونس" لم يمهله فرصة للتفكير وهو يكمل:

-مافيش إنسان مافيهوش عيوب... أنت نفسك مليان عيوب.

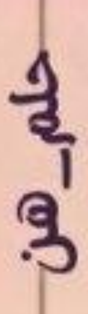
-عيوب عن عيوب تفرق يا "يونس"...

-صح، عشان كده اختار صح وسيب الباقي على ربنا.

كابر "وِتر" بسؤال وجيه، بشيء من استخفاف للنصيحة:

-وهم إللي اختاروا غلط كانوا قاصدين يختاروا غلط!

احتد عليه "يونس" بالكلام فتحشرج صوته الواهن إثر وعكته السابقة:



-أنت مالك ومال غيرك... ما تخليك في نفسك.

-طب اهدى، اهدى بس عشان ما تتعبش.

أعطاه كوب الماء وارتشف رشفة قليلة منه، ثم تركه وهو يستند بجسده للخلف على ظهر المقعد ويرجع رأسه للخلف مرتاحً..

تنهد بعد دقيقة صمت كاملة وهو سارح بعينيه في البعيد ونصحه بصدق مُخلِص أثناء شروده:

-ماتعملش زيِّ يا "وِتر"... ما تخليش شبابك يغُرك.

-يا "يونـ"

قاطع "يونس" استرسال "وِتر" وهو يلتف له بوجهه مرة أخرى ويكمل وهو مبتسم بعينيه:

-أنا كنت متّغر بشبابي كده بردو، وفاكر إني عمري ما هكبر، ولا عمري هحتاج لحد..

بس كبرت... اتعلمت في الآخر إن الإنسان مش بطوله، الإنسان دايمًا محتاج حد جمبه..

ديمًا محتاج حد أقرب ليه منه..

وندمت.. متبقاش غبي وتندم أنت كمان وأنت شايف نهاية نسخة من غلطتك قاعدة قدامك..

نفى "وِتر" بصوت خافت، بعناد فكرة ذبيحة تجاهد للم شتات دماءها المراقة ببأس يائس، تنسلخ عنها روح اقتناعه بها بسكين الخوف من الغد:

-في ناس كتير لوحدهم ومرتاحين يا" يونس"

هزَّ "يونس" رأسه مبتسم بشفقة:



-لالا، ده كلام بيداروا بيه خيبتهم.

صمتوا لحظات أخرى ثم مال عليه وهو يضرب على ركبتيه برفقٍ مدعم، وعينين مشجعتين:

-أندم على الحاجات اللي عملتها أحسن ما تندم على الحاجات إللي ماعملتهاش يا" وِتر".

عاد إلى جلسته الأولى من جديد يستريح من عناء هذا المجهود، ثم شاور تجاه رأسه وهو يشاغبه ضاحكًا ليكسر ظلال الرهبة الذي ألقتها عليهم كلماته:

-بعدين احترم الشعريتين البيض إللي طلعوا لك دول...

ضحك الاثنان، وعلق" وِتر "بغرور مصطنع:

-بس إيه رأيك مش مدياني وقار...

-آه لايق عليك الوقار...

-طب قولي بقى إيه أخبار صحتك؟ قالوا لي إنك تعبت.

أجاب "يونس" بلا مبالاة اعتيادية:

-التعب العادي.

وظلا يتحدثان قرابة الساعة في أكثر من موضوع واستأذن "وِتر" شاب الاستقبال في الدومينو ليلعبا دورين متتاليين؛ غلب" يونس "في الأولى و"وِتر "في الثاني، ثم في النهاية أعلن الذهاب آسفًا، بوعد بالمجيء مرة أخرى في أقرب وقت، وأن لا يطيل الغيبة كالمرة السابقة..

أوقفة صوت" يونس "قبل أن يذهب:

-"وِتر"...

نداه يونس من جديد قبل أن يتجاوز حافة الباب،

ووقف "وِتر" يهمهم مبتسمًا:

-"وِتر".

-هممم.

-أوعدني إنك تخلص من قلقك... متسيبش القلق يسوقك لطريق تندم عليه بعدين.

صمت لثواني ينظر له بابتسامة ممتنة لكل شيء ومنحه الوعد:

-أوعدك يا "يونس".

-"وِتر".

توقف من جديد وهو يتساءل ضاحكًا:

-عاوز إيه يا "يونس"؟

-ابقى هات معاك المدام الزيارة الجاية.



وغمز له بخبث عليم بما يجد في أمُوره دون أن يتفوه بها "وِتر" فضحك وهو يهز رأسه بيأس موافق ثم رحل دون حديث.

**

هناك كتب صفحاتها بيضاء، سطورها فارغة، لم تُشوه بأحبار الأيام بعد..

كتب فارغة من الحكمة والخبرة، لكنها تزخر بالبراءة والبهجة..

كتب تحتاجها لرسم البسمة الصادقة على محياك وكفى..

هنا الصفحات قد لا تضيف لحصيلة معارفك شيء..

لكنها تضيف إلى فراغ غرف قلبك كل شيء..

قد لا تنير طريقك بقناديل النصح والإرشاد..

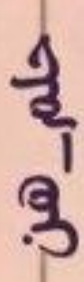
لكنها ستضيئ عتمة روحك بالسكينة والنقاء..

تداعبك لصحوة رغبة ربما طمسها الخوف من الزمن..

بوصلة لم ينحرف اتجاهها بعد..

"دار الاحتواء" للأيتام...

حيث اللطف الدائم، والطاقة التي لا تنضب..



دخلت إلى الدار في معادها الشهري المعتاد مع حصولها لراتب الشهر الجديد..

تشتري لهم الهدايا والحلوى والألعاب ..تمرح معهم حتى تنقطع أنفاسها وتتشرب وهجهم داخلها لتشع به على من حولها فيما بعد..

تجلس مع طفلة، وتداعب آخر..

تقرأ لإحداهم، وترسم مع غيره..

تجري منهم، ويجرون وراءها..

تصلح بين اثنين، وتبتسم لشجارهم من جديد..

وفي النهاية تضطر للرحيل، والذهاب لقضاء مهمتها الأخيرة في هذا المكان النابض بالحياة..

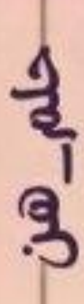
دخلت "وَتر" إلى مديرة الدار تحييها، وتسد تبرعها الشهري للأطفال..

دخلت إلى المكتب تطرق على الباب مستأذنة الدخول، فتأذن لها السيدة بوجه بشوش:

-دكتور" فاطمة" ازي حضرتك.

-أهلاً، أهلاً يا باشمهندسة... وحشتينا.

-والله وأنتوا كمان وحشيني جدًا... اتفضلي.



أعطتها "وَتر" الظرف الشهري وشكرتها المرأة، فابتسمت لها "وَتر" وهي تسأل عن أحوال الأطفال:

-أخبار الولاد إيه؟

-تمام الحمد الله... في كذا طفل جداد جم من يومين كده...

-بجد !أومال ماشفتهمش ليه؟!

-لا مهم أطفال رضع لسه ماتموش السنة...

ولد عندة شهرين تقريبًا وبنت في نفس السن.

بهتت ملامح "وَتر" ولم تكن المرة الأولى التي تسمع فيها تلك الكلمات ولم تكن المرة الأولى أيضًا التي تشعر فيها بذا الشعور المقبض:

-هو بجد ازاي في ناس بيبقى عندها استعداد ترمي عيالها في الشارع!

-صوابعك مش زي بعضها يا باشمهندسة.. تشوفي الأزواج إللي بيجوا هنا عشان يتبنوا طفل، والفرحة إللي بتبقى في عنيهم.. تستغربي فعلاً ازاي أهل الولاد

دول هان عليهم يرموهم، والناس إللي مافيش بينهم قرابة دي طايرين بيهم..

الدنيا مليانة يا بشمهندسة.

سكنت "وَتر" توافق داخلها على كلماتها ثم ابتسمت لها وهي تثني عليها بإعجاب صادق:

-الولاد هنا محظوظين بيكي أوي.

ابتسمت المرأة بحرج ووجه محمر وهي تشكرها:



-ربنا يخليكي يا بشمهندسة، وأنا كمان محظوظة بيهم والله... يمكن أنا حتى محظوظة بيهم أكتر منهم، أنا من غيرهم الله أعلم بحالي كان هيبقى عامل ازاي.

صمتت "وَتر" وهي تنظر لها متأملة مبتسمة، ثم فكرت وهي تستأذنها في سؤال بشيء من حرج:

-ممكن اسألك سؤال شخصي يا أستاذة "فاطمة."

ابتسمت السيدة بسمة مدركة جيدًا للسؤال الشخصي ولكنها لم تتحدث وهي توميء برأسها بإيجاب:

-اتفضلي.

ترددت "وَتر" قليلاً شاعرة أنها تخطت الحدود، ولكن في النهاية تساءلت برغبة حقيقية في المعرفة:

-هو أنت ندمانة إنك ماتجوزتيش؟



تنهدت المرأة وهي تجيبها بحكمة شربتها عبر سنوات عمرها الأكثر من الخمسون:

-مافيش إنسان بياخد أقل من نصيبه.

بس أكيد ده الخير أكتر، ليا وللولاد هنا، احنا الاتنين محتاجين لبعض... ربنا مابيعملش حاجة وحشة.

ثم نزعت عويناتها ووضعتها أمامها، ثم سألتها بابتسامة ودودة:

-أنت بقى ليه مافرحتيناش بيكي لحد دلوقتي؟

-خايفة يا أستاذة "فاطمة" خايفة أكون أم أسوأ من الأمهات إللي بتسيب عيالها.



على الأقل هم جابوهم هنا لناس ترعاهم، لكن أنا ممكن أعيشهم في جحيم والاسم بيت بين أب وأم زي ما بشوف وبسمع..

خايفة من زوج ميتقيش ربنا فيَّ، خايفة من حد يكسر كرامتي ويهينني..

أو حد ميفهمنيش ويطفيني..

خايفة من بيت فيه مشاكل.

-مفيش بيت مفيهوش مشاكل يا "وَتر" أو مفيش بيت مش مليان بالمشاكل...

المشاكل دي طبيعة الكون..

بس المهم ازاي نعدي المشاكل دي.



-ما المشكلة هنا، أنت ممكن تضمني نفسك إنك تعدي المشاكل، بس إيه إللي يضمن لك إللي قدامك؟

صمتت "فاطمة" لأكثر من دقيقة ثم سألتها:

-عارفة المشكلة إللي بجد فين يا "وَتر"؟

-فين؟!

-إننا دايمًا ضامنين نفسنا.

-تغضن جبين "وَتر" بعدم فهم وسألت كيف هذا؛ فأخذت "فاطمة" تشرح لها:

-يعني المشكلة إن الاتنين المتجوزين إللي حياتهم بتبقى جحيم؛ دايمًا بيبقوا فاكرين إن هم الصح، إن هم ما بيغلطوش، إن شريكهم مش فاهمهم، إن شريكهم رأيه دايمًا غلط.. وهكذا من عدم الفهم بينهم.

واحد منهم وممكن الاتنين..

ودايمًا بيبقوا متأهبين للوحش، فمبيعرفوش يشوفوا الحلو... مبيعرفوش يحسوه فيتعكزوا عليه وقت المشاكل..

مبيعرفوش يتحملوا بعض، ومبيعرفوش يصالحوا بعض، مبيعرفوش ينبسطوا ببعض ويشيلوا بعض.

فكرت "وَتر" بقلق ثم سألت ساهمة بتفكير وعقدة جبين لم تنفك:

-تفتكري إنها مشكلتي... تفتكري ممكن أبقى أنا المشكلة؟!

لم ترد عليها فاطمة بعض الوقت، وعندما تكلمت قالت مغيرة وجهة الموضوع:

تاخديها نصيحة مني.



أماءت برأسها موافقة برغبة حقيقية دون رد:

-اقتلي خوفك.. متحطيهوش حاجز..

مش كل الرجالة وحشة زي ما أنت متخيلة.. أوقات بيبقى في ستات هم أساس المشكلة..

مش معنى كدة إنك تتجوزي والسلام، ولا أي حد وخلاص.. بس فكري بإنصاف، ماتخليش خوفك يظلمك ويظلم إللي قدامك.

اتعلمي تتكلمي وعلمي شريكك إللي ترتاحي له يتكلم..

اخلقوا لغة مشتركة تفهموها أنتوا الاتنين، حاولي تقنعيه دايمًا -وتقنعي نفسك قبله- إن وقت خلافكوا ممكن تكونوا غلطانين، مش شرط نكون ملايكة منغلطش..

ونعتذر لما نغلط، ونستحمل بعض.



صمتت "فاطمة" أخيرًا بعد أن قالت كل ما تود أن تقوله، وكذلك فعلت "وَتر" وهي تفكر بسلام واقتناع بدأ بالتسرب لها، ثم أماءت لها برأسها شاكرة لهذا الحوار وهذه الفرصة:

-شكرًا يا دكتور "فاطمة" بجد.

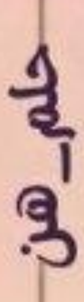
استأذنت للمغادرة وذهبت فأوقفتها فاطمة ببسمة لطيفة:

-"وَتر"..

-أؤمري يا دكتور..

-ما تنسيناش لما تبقي مامي قمر.

ابتسمت لها "وَتر" أوسع وأجمل ابتسامة تملكها ثم غادرت دون تعليق.



الأربعاء

5/1/2022.

**

هل جربت يومًا الاقلاع عن شيء تدمنه، لتجده في اليوم التالي متاحًا لك بوفرة، ويغريك وبشتى الطرق!..

هل أقسمت يومًا على التوقف عن الهلع من شيء ما، لتجد هذا الشيء يجثم على أنفاسك في مساء ذات اليوم!..

هل فكرت يوما في تغيير شيء يتعبك، ويأرق مضجعك لتجد كل الطرق الأخرى معبدة بالأفاعي والنمور.. إلاه!..

هل تعلم السبب..؟

نعم هي مؤامرة ضدك... بل حرب!

ونعم نعلم أنك لم تتسلح بما يجب بعد!



ولكن هذه هي قواعد التغيير؛ المحاولة ودنُوك من تعديل الفكرة تعني الحرب.. الحرب الشرسة.

حرب غفل عنها "وِتر" وهو جالس أمام مكتبه يدرس بعض مستجدات العمل..

حتى سمع دقات متتالية على الباب فسمح للطارق بالدخول ولم ينظر له حتى جلس أمامه فسلخ نظره من أمام الكمبيوتر لحظات ليعلم هوية من أمامه، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يسأله عن سبب وجوده مباشرةً:

-خير يا "محمد"..؟!

تنحنح الرجل وهو يحاول التقاط بعض الكلمات لكي يبدأ بها الحديث:

-أنا كنت بس جي أطلب من حضرتك طلب.



-اتفضل..

-أنا طالب سلفة.

انتبه له بكامل انتباهه تلك المرة وهو يتساءل باستفهام مستغرب:

-نعم!..

-سلفة يا فندم.

-سلفة إيه يا "محمد"؟! أنت لسه مسددتش أقساط السلفة إللي فاتت أصلاً، عاوزها في إيه!..

-عاوزها في مسألة شخصية...

-هو للأسف أنت متقدرش تطلب سلفة تانيوة غير يتم سداد السلفة الأولى... ده العقد.

تنحنح الرجل بحرج مضاعف وهو:

-طب مينفعش حضرتك تحاول تمشي لي الموضوع، أنا فعلاً محتاج السلفة..

تنهد "وِتر" بتفكير ثم سأل الرجل أمامه

-محتاج كام؟!

صمت الرجل فترة ثم ابتعد بنظره إلى الأرض حيث نقطة فراغ لا يواجه فيها أحد، ثم أجاب بصوت واهن:

-30 ألف.

سأل "وِتر" بذهول وعيون متسعة على أخرها:

-كام؟!

ليه، عاوز المبلغ ده كله في إيه؟



-ده المبلغ إللي فاضل لي على مؤخر الطلاق... لو مدفعتوش هتحبس، حقيقي فكرت في كذا حل واستلفت من كل إللي أقدر استلف منهم، بس لسه المبلغ مكملش، ومش قدامي حل تاني غير سلفة من الشغل عشان أكمل المبلغ.

ظل "وِتر" صامتًا، غير مدرك لمعاني كلماته، وغير قادر على التصرف أو التفكير، إلى ان سأل بعد ثواني باستفسار:

-هو المبلغ المطلوب كام؟

-250 ألف.



انقبضت ملامح "وِتر" وتغضن جبينه بغضب مشتعل حاول مدارته وعدم اظهاره للبائس أمامه، وتلحف بالصمت دقائق وهو يفكر ويدور بكرسيه ببطء والقلم يدور بين يديه دون توقف، حتى تكلم أخيرًا بوضوح وصراحة:

-طب بص يا "محمد"، للأسف القوانين هنا ما تقبلش لا بسلفة جديدة من غير سداد الأولى، ولا بالرقم إللي أنت عاوزه دا...

بس ممكن نلقى حل برا موضوع السلفة..

نتكلم في استراحة الغدا إن شاء الله أكون فكرت لك في حل..



أُحبط الرجل ومسح على وجهه بكفه يائسًا، ثم شكره وقام ببطء وكأن الجبال جاثية على صدره ورحل:

-تمام، متشكر يا أستاذ "وِتر".

أماء "وِتر" له برأسه دون أن ينطق، وراقبه وهو يغادر ويغلق الباب خلفه، ثم رمى القلم من يده على المكتب أمامه بحدة، وعقله يتساءل بغضب جم..

لما الآن!..

حقًا لما الآن بعدما قرر أن يمنح نفسه هدنة من تلك المخاوف!..

بعدما تمسك بحبال كلمات "يونس" وكلمات أخيه، فتأتي هذه الكلمات السامة لتجز هذا الخيط الواهن بالأساس الذي يتمسك به..

حدث نفسه بمعاندة وأعلن عدم استسلامه لخيالاته المقبضة... تمسك بالهدنة "وِتر "ربما تكون هذه مجرد استثناءات وليست القاعدة..

وعاد إلى ما كان يفعله قبل أن يدخل عليه هذا المحاسب كالطوفان الذي قلب ثباته الهش رأسً على عقب.

انتهت ساعات العمل الأولى وأتت استراحة الغذاء، فذهب "وِتر" ليحضر له كوب قهوة من كافتيريا الشركة..

ذهب ووقف أمام ماكينة القهوة ليجد تجمع كبير نسبيًا من الرجال في قسم المحاسبة يتكون من ست رجال على الأقل، ومركزهم كان "محمد" من تحتل مشكلته رأسه منذ الصباح إلى الآن..



لفت انتباهه الحوار الدائر بينهم والذي بدأ منذ فترة على ما يبدو فتابعه في صمت وهو ينصت إلى أحدهم وهو يتحدث مشتكي بعصبية واضحة:

-الستات دي خليفة إبليس، أنا مراتي الأولى كنت عامل لها توكيل عام عشان لو جرالي حاجة متتبهدلش، قامت بايعة لنفسها الشقة والعربية وكمان طلبت الطلاق، ودلوقت أنا مرمي عند أمي محلتيش مليم.

تدخل آخر وهو يشتكي لهم وكأنه وجدها فرصة لتفريغ بعض كبته المرهق:

-لا، ومبيشبعوش، تحسهم عاملين زي النار، وكل ما تديهم يطمعوا أكتر...



أنا عايش حياتي كلها شغل عشان الأقساط، قسط شقة الساحل، وقسط العربية، وقسط المدارس، وقسط التكيف الجديد، ولو قلت لا ولا كفاية تقلب بوزها شبرين والواحد يحس إنه عايش في جحيم.

ثم سمع" توفيق "أصغرهم سنًا وهو يشارك في الحوار، ويبدو أنه معقد مثله:

-أنا مرات خالي بيعته إللي وراه واللي قدامه وبعد ما الحال اتبدل بيه بعد ما كان مرتاح وصاحب ملك، خلعته وراحت اتجوزت عيل أصغر منها..

من ساعتها وأنا متأكد إن الستات دول مخلوقين عشان يقرفونا..



-ما شفتش بقى النوع إللي تعمل مهما تعمل بردو أنت وحش ومبتفهمش، ومش عاجب..

وديمًا فلان أحسن منك، وبص علان عامل إيه، حاجة قرف.

هنا تدخل "معتز" وهو يتحدث من علو وبنبرة واثقة، ينهال عليه بنصائحه ونصائح أبائه الأولين في التعامل مع تلك الكائنات:

-احنا إللي مرعناهم، دول ملهمش غير الدب على دماغهم عشان يمشوا عدل..

اضربها لحد ما تعدمها العافية، وهي هتمشي زي الألف بعد كده... زي زمان، كانت الواحدة تاخد على دماغها وما تجرأش تقول حرف.

نظر له "وِتر" بعدم تصديق لتلك السادية المنتشية التي يتحدث بها ليشاهد "رامي "وهو يعارضه بدهاء وعيونٍ تلمع، وهو يلقي عليهم خطته المجربة:

-غشيم، الضرب ممنوش فايدة وما بيحوأش، جتتهم بتنحس... وممكن كمان تقوم عليك الدنيا وتعمل فيها شهيدة..

لكن الكلام هو اللي بيجيب من الآخر..

مرة تحسسها ديمًا إنها قليلة، مش مالية عنيك، وحشة، بتعمل زي مابتعملش، وطلع فيها القطط الفاطسة..

ومرة تحسيها إنها ملكة وإنها أحسن واحدة في عنيك بعدين تقلب عليها تاني من غير سبب، خليها تلف وتسأل



نفسها هي إيه إللي عملته غلط عشان تقلب عليها، وتجي لك راكعة عشان تصالحك..

ودايمًا سِم بدنها على الأكل، متخليهاش تتهنى بلقمة..

غير لما أنت تبقى راضي عنها... عيشها في حرب، وموت ثقتها في نفسها... هتبقى تحت رجلك من غير ما تتعب نفسك.

و"وِتر" ظل يستمع إلى كلماته بفم مفتوح وعين مصعوقة، غير مصدق إلى أن تلك الكلمات من الممكن أن تخرج من فم إنسانٍ طبيعي وبهذه السلاسة، فتابع وهو ينهى هذا الحوار الأباليسي وهو يرجع بالموضوع إلى نقطة البداية حيث ما فات "وِتر"، واستمر في الوسوسة له بمحاولة اقناع باسلة:



-بقول لك إيه يا "محمد"، فكك من الحوارات دي كلها واسمع كلامي، أنت ردها لعصمتك تاني، واتأكد بس إنها في البيت لوحدها في مرة، وأنا هأكلم واحد صحبي مضمون يطلع لها، وتلبسها قضية زِنا..

بعدها هتبوس إيدك عشان ترحمها أو تطلقها ويبقى ملهاش مليم، وساعتها أنت إللي تقعد وتتشرط وتاخد منها العيال كمان ومتخليهاش تشوفهم غير لما تبوس رجلك..

عملناها كتير مع صحابنا... ومتقولش حرام؛ الجنس إللي زي دا حرام فيه الحياة أصلاً.

انتصب شعر "وِتر" عند هذا الحد واتسعت حدقتاه أكثر حد الذهول التام، غير مصدق وهو يستمع لتلك الكلمات



التي اخترقت أذنيه كطلقات رصاص في جسد النخوة والرجولة..!

"قضية زنا"... ليس هذا وفقط وأيضًا هناك "أطفال" في الموضوع، وما أجج غضبه أكثر أنه شاهد "محمد" صامت يدور بعينيه في أنحاء الأرض بحيرة وكأنه يفكر!..

لم يشعر بنفسه إلا وقدميه ذاهبة تجاههم، يتدخل في الحوار دون تمهيد وبغضبٍ واضح:

-يعني واحد يحول مراته لمريضة نفسية، والتاني يلبسها قضية زِنا..

لا براڤو..

ولما يلبسها بقى قضية الزنا، يقول إيه لولاده!..

يبص في وشهم ازاي وهم عنيهم مكسورة!..

هم يبصوا في وشوش الناس ازاي!..

هتبقى مبسوط هاه!..

ولما تقف قدام ربنا هتقول له إيه!..

وجه سؤاليه الأخيرين إلى "محمد" وهو ينظر له بحدة، وتحذير من الانسياق وراء تلك الكلمات علَّه يستفيق:

-يعني تضحك على الراجل الغلبان وتبيعه إللي وراه وإللي قدامه، دا غير كمان مصاريف بعد الطلاق والشقة إللي هتاخدها، هو مضطر يا أستاذ "وِتر" وإلا لو معملش كده هو إللي هيتحبس.

عندها همس"وِتر" بفحيحٍ غاضب ووجه محمر:



-أنت إبليس يلا... حقير... ونهايتك هتبقى سودا مع واحدة من عينتك.

وتركهم وغادر دون إضافة حرف زائد، وسؤال مقبض يضرب عقله كالبرق..

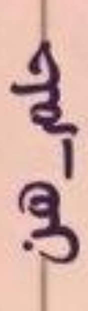
هل من الممكن أن يفقد نفسه في يوم لدرجة أن يكون "مضطر" ليلبس ثوب الحقير!..

هل من الممكن أن يدفع في يوم دفعًا ليرتدي رداء القذارة!..

أين إذًا كل ما كان يقوله" يونس "له من أحاديث هؤلاء!..

أين تلك المعاني الجميلة التي يصدعون رأسه كلما سأل أحدهم عن هدفهم من الزواج!..

هزّ رأسه نافيًا وهو يذهب يتمنى انتهاء هذا السيرك في عقله..



هذا الوضع خارج السيطرة الطبيعية لبشر، وهو ملَّ هذا العبث... عليهم اللعنة جميعًا.

**

متى تنهار الأرض أسفل قدميك في لحظة!..

متى تسقط منك راية تمسكها في لمح البصر!..

متى تُهزم في معركة ظننت أنك ستقف فيها ثابت الوتيرة ببنما قدماك في الأصل رخوة!..

الإجابة ببساطة..

عندما تكون ضيف حديث على تلك الأرض..

عندما تمسك براية لا تقتنع بمعناها..



عندما تحارب في معركة محسومة لعدو تخشاه كالطاعون، وظننت في لحظة صفاء أنك تخلصت من هلعك منه!..

عندما تحاول محاربة خوفك أولاً فتجد ما تخشاه وقد جمع عُدته وعتاده لغزو قلبك من جديد وتدميره للأبد كجيش من جيوش التتار؛ لكي لا تتجرأ بأفكارك من جديد على الحلم بأن تتحرر منه..

لم يفت يوم من اقتناعها بالسماح لنفسها بفرصة وليدة بالنظر إلى الأمر من جهة مغايرة لما تخشاه وتفكر في الوضع من حيث تكوين أسرة وأطفال ومساندة في المشاكل، والسلام المتبادل، حتى أتى الواقع يجثم على أنفاسها خانقًا ومستهزئًا..

في يوم عمل تقليدي صامت كانت تجلس "وَتر" في مكتبها بجانب زملائها كلٍ مشغول في رسومات مشروعه الخاص ..

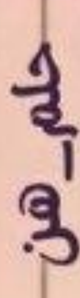
حتى دخلت عليهم زميلتهم "منه" بعدما ظنوها ستتغيب اليوم بعد تأخيرها للمرة الأولى في تاريخ عملها معهم..

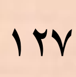
دخلت واجمة ترتدي نظارة شمسية ضخمة، وجلست على مكتبها بصمت دون أن تتفوه بأي حديث وهم ينظرون لها بريبة حتى خلعت نظارتها وانكفأت على رسوماتها، لتباشر عملها، فأتى صوت فتاة من المكتب بجوارها تسألها باهتمامٍ وشك:

-"منه" أنت كويسة؟!

أماءت برأسها دون أن ترفع لهم وجهها وهي تأكد:

-آه، آه كويسة.





صمتوا جميعًا بنظرة مرتابة، ولم يفتهم تورم وجهها وتغير لونه حتى بتأثير المكياچ الواضحة... ارتبك الثلاث رجال زملاءهم بالغرفة لسبب مجهول، وعم صمت مشحون دون سبب واضح، حتى أتت استراحة الغذاء فذهب الرجال يطلبن الغذاء والقهوة وتركوهن بفردهن، فاقتربت منها الفتاة "رقية" وسألتها برقة:

-مالك يا "منه" في إيه؟!

-مفيش يا "رقية" تعبانة شوية.

ردت "منه" بصوت مبحوح وهي مستمرة في عدم النظر لهم، حتى اقتربت منهما السيدة "رحمة" وهي أكبرهم سنًا ومكانة هنا:



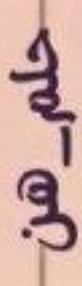
-أنت مضروبة يا "منه" وشك باين عليه، مين ضربك!

وعند هذا الحد انفجرت "منه" في البكاء وهي ترتمي بين أحضان "رحمة" وهي تحكي لها أو لهم، عن شجارها مع زوجها بالأمس عندما اشتكت له من تصرفات زوجة أخيه وكلماتها وتصرفاتها المستفزة، فأخذ يسبها وينعتها بألفاظ مشينة، ثم شتم أبيها وأمها فاعترضت وصرخت في وجهه رافضة إهانة والديها ليبدأ في ضربها حتى ألمتها عظامها وازرق وجهها واضطرت أن تداري بعض ألوانها بمساحيق التجميل ولكن دون فائدة على ما يبدوا..

وما تعجبت له "وَتر" أنها تعلم زوجها، كان مهندس زميلهم، كما يبدو عليه التحضر والرقي.. ولم تتخيل أبدًا أن تخرج منه مثل تلك الأفعال البدائية..

ثم سمعتهن وهن يحاولن تهدأتها ثم أخذت كل واحدة تقص معاناتها مع زوجها حتى لقت السيدة "رحمة":

-أنا بقى لما اتجوزنا صمم أسيب الشغل، وأقعد في البيت.. سمعت كلامه وقعدت وبعد ما جبت بنتين.. كان كل شوية يهددني إنه هيتجوز عليا عشان يجيب ولد، افتكرته بيهزر وبيقول أي كلام لحد ما اكتشفت إنه بيتكلم جد واتجوز عليا فعلاً..



وأنا اللي كنت خدامة في البيت وبيت أهله، ومستحملة إهانته وإهانتهم ليا ومبنطقش، عشان في الآخر يعمل فيَّ كده..

سبته بعد ما مرمطني ومضاني على تنازل عن كل حقوقي وخد مني دهبي..

وساب لي البنات من غير ما يسأل فيهم ولا حتى يشوفهم، بعدها رجعت شغلي وقاعدة في بيت بابا من يومها.

انقبض قلب "وَتر" بوجل وهي لا تصدق أن هناك أب يستطيع بيع أطفاله بهذه الطريقة، هذا النوع لا يستحق لقب أب، بل لا يستحق لقب إنسان من الأساس..

قاطع تفكيرها كلمات زميلة أخرى لها تتحدث بقهر متواري وعيون دامعة:

-أنا بقى اتطلقت بعد شهرين من جوازي لما اتشخصت بورم في الثدي، أصله مكنش عنده استعداد يضيع عمره في احتمالات وتعب ومستشفيات، شاب وعاوز يفرح بشبابه..



بس الحمد الله طلع حميد.. وعايشة زي القردة الحمد الله، وربنا أنقذني منه قبل ما أخرج في إيدي عيل يربطني بيه العمر كله..

عادي يعني كلنا محطوط علينا.. فكي.

فضحكت "منه" بحزن، وتحول مكتب العمل إلى مركز لشكاوى المرأة، كلٍ منهن تستعرض مآسيها من زوجها الجاحد الذي أحال حياتها الوردية جحيم بلون الرماد..

بينما استمر وجه "وَتر" في البهوت برعب وهي تستمع لصنوف المآسي من بين أفواه النساء أمامها، تفتش عن واحدة خرجت منهن سالمة ونُصفت في زواجها ولم تجد!

ثم هل هم يتحدثون عن كائنات آدمية حقًا!

هل يتحدثون عن بشر طبيعي!



هذا الكم من الدناءة، وانعدام الإنسانية!

تدخلت "سمر" في الحديث، والتي تشتهر بكونها Feminist متطرفة، مناصرة المرأة مظلومة كانت أو ظالمة ..وضحكت باشمئزاز واضح:

-إللي متغطية براجل عريانة..

وقال بيقولوا ضِل راجل ولا ضِل حيطة، دي وقعة الحيطة عليها أرحم من إنها تقع تحت رحمة راجل.

أنتوا شفتوا الحوادث اللي حصلت الفترة إللي فاتت!!

الراجل اللي صور مراته ونزل صورها على النت..

والتاني إللي باع دهبها عشان يتجوز بفلوسها عليها..

والمدمن إللي قتل مراته وعياله وهو ضارب..

ولا إللي ضرب مراته في يوم فرحهم لحد ما كسر عضمها وماتت عشان يدبح لها القطة زي ما ماما قالت له روح ماما، ولا ولا ولا..

خرج من "رقية" سؤال بقلة حيلة، والتي تعتبر هي و"وَتر" فقط اللتان لم تتزوجا بعد في هذه الغرفة ولكنها مخطوبة:

-والحل إيه يا ست "سمر"، نترهبن!

-لا ما تترهبنوش، اكسروا عينهم..

مضوهم على شيكات ميعرفوش يتحصلوا على نصها حتى، ودايمًا تبقوا دايسين على رقابيهم بيه ميقدرش يدوس لك على طرف وإلا يبقى عارف إنه هيترمي في السجن..



أمسكوا عليهم أي مصيبة واكسروا عينهم بيها..

ومش أي حاجة يقولوها لكم تقولوا آمين؛ أنتم مش عبيد عندهم.

وللمرة الأولى تتدخل "وَتر" في الحوار مستفهمة بجزع متزايد من كل هذا العبث الدائر نحوها على نحو يثير التقزز:

-وهو الحل الرد على القرف بقرف؟!

من امتى وكان التوريط هو الحل!

أنت إيه إللي بتقوليه دا يا "سمر!"

-أومال إيه الحل من وجة نظرك يا "وَتر" هانم... يتداس عليها وعلى كرامتها وتتهان ويتقل منها وتسكت!

-لا طبعًا متسكتش، بس متعملش إللي أنت بتقوليه دا لما هي تكسر عينه بشيك ويبقى عايش معاها غصب... وعشان خايف منها دي حياة..

-احنا مش بنفتري على حد يا حبيبتي، احنا بنحمي نفسنا مش أكتر..

-وهي حماية النفس متنفعش من غير الطرق الحقيرة دي! وبعدين أنت إيه ضمنك لما تمضيه على شيكات ما يعملش إللي ممضياه الشيك عشان ما يعملوش أصلاً! يضربك لحد ما يخليكي تقطعي الشيك ولا يمضيكي على واحد زيه، أو يسوأ سمعتك ويبهدلك عشان يكسرك أنت كمان، ولا يعمل أي حاجة تانية..

هو دا الضمان من وجهة نظرك!



هي دي العيشة السوية..

ولو عندهم ولاد يا "سمر"!

هي دي البيئة المناسبة للتربية..!

وسط مؤامرات ولوي دراع.

نظرت "سمر" لـ "وَتر" من علو وهي تضحك بحقد وتقزز ثم رمتها بكلماتٍ سامة:

-واضح يا "وَتر" إنك ذكورية من النوع إللي بيحب ياخد على دماغه وبيتبسط بكده... أو حابة تعملي لقطة وتمثلي المثالية الزايدة..

بس يا حبيبتي كلامك ده خليه لنفسك.

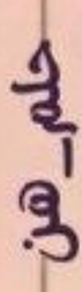


نظرت لها بتقزز من أعلى إلى أسفل، ثم ردت عليها بملامح وجه جامدة دون أن تهتز وهي تبثق الكلمات مع نظراتها الواثقة المشمئزة:

-أنا مش هأدخل معاك في جدال عقيم مفيش منه فايدة.. بس حقيقي أنت إنسانة مش طبيعية، زيك زي الرجالة إللي بتتكلمي عنهم بالظبط.

وغادرت من الغرفة بأكملها بانفعال وحنق وهي تتساءل داخلها لما أصبحت الحياة بهذا القدر من الدناءة وتلك التصرفات المقرفة!

لما يصمم البشر على قتل كل سلام ويتفننوا في إبادة السكينة من الوجود حتى بين بعضهم البعض كأُسر وأزواج.!



أليس هم السكن لبعضهم!

هم اكتمال بعضهم!

هم الراحة لبعضهم من عناء الدنيا!

هم السند، والعائلة والصحبة، والحب، والمودة، والرحمة، والونس والسكينة وكل تلك المعاني الجميلة!

أين السكن والمودة في الضرب، والإهانة!

أين الرحمة والسكينة في الانتقادات، والظلم!

أين السند والصحبة في المؤامرات، والكره، والتفنن في إيذاء بعضهم البعض!

أين تلك الشعارات والوعود التي يتغنوا بها في أيام الحب والهيام قبل الزواج!

حقًا ما هذا العبث!

الخميس.

6/1/2022.

**

في كل طريقٍ مظلم يضوي وهج خفيض في زاوية ما..

وفي كل طريق مضيء يقبع ثقب أسود مخيف..

ربما نرى الوهج في الظلام ونخشى أن نأمل..

وربما نوقن من وجود هذا الثقب الذي سيبتلعنا في يوم؛

فنخشى التجربة..

لذا نتجاهلهم، ونمضي في طريقنا..

وما يزيد من تشبثنا بهذه الطرق وجود من يسلسل أنظارنا

على البريق في الطريق الذي نأمل الخروج منه، والثقب في

الطريق الآخر الذي نطمح في السير فيه..

وهكذا ننقسم ما بين رغبة وخوف يتقاتلا داخلنا..

ولهذا ذهب كلٍ منهما إلى العمل في اليوم التالي بقلبٍ مثقل ورغبة ملحة في الذهاب والجلوس كلٍ بمفرده ويتلاشى صخب العالم، ولكن ليت المطالب بالتمني..

انتهى نصف يوم العمل ببطء، فاستأذنت "وَتر" في باقي اليوم للذهاب..

وهذا ما فعله "وِتر" أيضًا بعد انتهائه من أغلب عمل اليوم وذهب دون أن يكمل باقيه، يؤجله إلى أول الأسبوع، هو لا يود حقًا الاختلاط بأي أحد..

ذهبت المصعد، تحمل هم اليوم، وهم هذا العريس الذي يقف البيت على قدمٍ وساق لقدومه، تتمنى نهايته حقًا..

ثم لما يوم الخميس تحديدًا!..



ألم يستطع أن يؤجل زيارته الكريمة يومٍ واحد فقط ليأتي في يوم الإجازة كباقي البشر!..

دخلت المصعد وكل أمنياتها هو انتهاء هذا اليوم وخلودها للنوم وفقط..

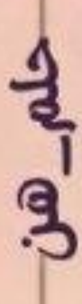
وفي ذات المبنى، في الطابق الأسفل كانت أفكاره هو الآخر تدور حور ذات الزيارة وذات التفكير..

لما تطوعت المدام "فادا" العزيزة بتحديد يوم الخميس لهذه الزيارة!..

لما لم يكن يوم الجمعة أو السبت مثلاً!..

لما لا يستطيع أن يذهب اليوم، يرمي كل أفكار العالم وهمومه وينام!..

لما وافق على تلك التدبيسة من الأساس!..



داس على أزرار المصعد وهو يتأفف ويدعك يده على مؤخرة شعره..

وفُتح باب المصعد فدخل ولم يجد به إلا سيدة صغيرة، تعقص ذراعيها على صدرها شاردة، أو حانقة لا يدري تحديدًا، لكنها... ملفتة!

ليست ملفتة بهيئة مخلة؛ ولكن عينيها ملفتتين..

وقف بجوارها في المصعد على بعد منها وهو يراقبها بنظره وداخله يتساءل... لما يشعر بأنه قد رأى تلك العينين من قبل!..

عينينها البنيتين بوسع نادر ورموش كثيفة مميزتين حقًا..

شعرها القصير بنفس درجة لون عينيها..

قصر قامتها المتناسق..

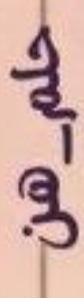


هو يجزم على رؤيتهما من قبل ولكن لا يتذكر أين..

وهي كانت تختلس النظر له بأطراف عيونها هي الأخرى، بشعور داخلي يزورها أنها ليست المرة الاولى التي تراه فيها..

شعره يذكرها بشعر الهنود؛ كثافته الناعمة مستفزة حقًا، أنفه المستقيمة بدقة غريبة، وطوله المتوسط ما بين الطول والقصر..

هي تتذكر أنها رأته وتنمرت عليه في حسدٍ صريح على أنفه وشعره وخاصةً طوله، لكنها لم تتذكر أين..



حاول وحاولت وفتح باب المصعد قبل أن يتذكر أحدهم الآخر وذهب كلٍ منهما في طريقه متناسيًا هذه اللحظات القصيرة، ويركز في منتصف اليوم الباقي..

**

ذهب "وِتر" إلى منزله بطاقة شحيحة، وعقلٍ مرهق..

ارتمى على الأريكة ينوي أن ينام ساعتين فقط قبل تلك الزيارة التي لا يعلم فحواها إلا الله..

ولكن رن رقم هاتفه برقم صديق قديم، استغرب عند رؤية رقمه، ثم رد بمرح وسعادة:

-لالالا، "موسى" باشا بنفسه افتكرنا وبيتصل بينا يا عم دا إحنا هنعمل فرح..

-ناطط في بالي بقالك كام يوم يا دنچوان عصرك فقولت أكلمك..

-و إيه إللي رماني على بالك..

-مش هينفع في التليفون، تعالى نتقابل..



-لا مش قادر انزل.. تعالى على البيت أنت عارف العنوان متغيرش.

-بيت إيه يا بني، انزل نتكلم في أي حتة قريبة..

-ياعم ما إحنا هنقول في البيت إللي هنقوله برا، ولا أنت عشان فتحت لك شركة وربنا فتحها عليك هتتنطط علينا، اخلص..

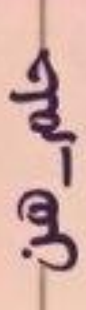
-أهو هو ده بقى الموضوع اللي عاوز أكلمك فيه..

-موضوع إيه..؟

-الشركة إللي فتحتها، عاوزك معايا فيها..

-اممم، تعالى ونشوف الموضوع ده لما تيجي..

-طب يا عم العنيد، نص ساعة وابقى عندك، يا رب افتكر البيت بس..



-هتفتكره متخافش، يلا سلام..

قام "وِتر" يرتب من فوضى البيت، ثم وضع هاتفه على الشاحن في غرفته وأغلق الباب وهو يكمل ترتيب بعض الأشياء، وما هي إلا ثلث ساعة وسمع صوت جرس المنزل يدق، ففتح الباب ليجد "موسى" صديق الجامعة العزيز واقف أمامه، والذي لم يره ربما منذ سنتين أو أكثر ولكنه يتابع أخباره عبر مواقع التواصل..

احتضنا بعضهما بشوق حقيقي..

دخلا البيت وظلا يتحدثان ويتضاحكان على ذكريات الجامعة ومقالبهم في بعضهم، وفي بعض الأصدقاء الآخرين..



ثم قام "وِتر" يصنع لهم بعض القهوة وهم يتحدثان،

وعندها بدأ "موسى" في الحديث فيما جاء له..

-إيه رأيك تشتغل معايا؟!

-اشتغل معاك إيه، دا أنا حتة HR غلبان على باب الله..

-يا واد يا غلبان يا إللي على باب الله..

أنت هتصيع..

-عاوز إيه انجز.

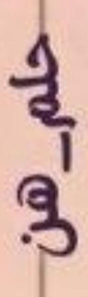
بص، أنت عارف إني لسه فاتح الشركة يا دوب من سنة،

فالدنيا معايا لسه مش متظبطة..

وأول حاجة أنا كنت بفكر إني عاوز شريك معايا في

الشركة... وكمان عندي الـHR مبهدلين لي الدنيا..

ففكرت فيك..



تشاركني وتمسك أنت شئون الموظفين وأهو توفر الألوف

إللي بياخدوها، والنسب نتفق عليها..

قاطعه "وِتر" وهو يصب القهوة ببطء:

-قديمة أوي شئون الموظفين دي..

-لا بقول لك إيه هي مش طالبة.

ضحك "وِتر" وهو يسلمه فنجان قهوته ويخرجوا

ليجلسوا من جديد:

-خلاص يا عم بهزر، بس أنا كنت فاكرك هتيجي تعرض

أشتغل في الشركة مش أشاركك فيها..

-ميبقاش طموحك ضئيل..

أنت هتمسك الـ HR الفترة دي لحد ما الدنيا تظبط

وتتعلم الإدارة وتمسكها معايا..

-معاك حق، وكلام جميل... بس اشمعنا افتكرتني أنا بالذات يعني..

-يعني بصراحة أنت كنت أرجل واحد في صحابي وأكتر واحد بثق فيه، عشان كده أول واحد نطيت في بالي..

ابتسم "وِتر" وهو يربت على قدمه بمعزة:

-حبيبي يا "موسى" ثقتك دي غالية..

بس أنا مبفهمش في إدارة الشركات..

-هنظبط سوا متخافش، وهتتعلم بسرعة.

صمت "وِتر" يفكر بعض الوقت، ثم قال له وهو لم يستقر على رأي بعد:

-طب اديني يومين افكر كده..



-خلاص تمام، معاك لحد آخر الشهر، فكر براحتك وقول لي..

-خلاص تمام.

اتفقا على المهلة للتفكير ثم غير "موسى" الموضوع وهو يسأله مستغربًا:

-بس غريبة ياض في الوقت ده ولقيتك في البيت، كنت فاكرك هتبقى في الشغل..

-آه أصل قعدت يا دوب نص يوم في الشغل ومشيت عشان عقبال عندك رايح اشوف عروسة مرات اخويا جيبهالي..

-يا بختك ياعم..



-تعالى يا أخويا مكاني.. تعالى، أنت بتقر على إيه!..

-يا عم ياريت، حد طايل يتدلع وحد يجيب له عروسة لحد عنده... ما أنت عارف أنا مقطوع من شجرة، لا عندي واحدة تجيب لي عروسة، ولا حد يدور لي على عيلة أناسبها..

-خلاص يا "موسى"، أنت هتشحت... بعدين ما أنت عندك شركتك وأكيد مليانة بنات يعني وهيموتوا عليك كمان..

هز "موسى" رأسه موافقًا دون انتباه وهو يتذكر مشكلته، فغمز له "وِتر" وهو يخبط قدمه بخاصته سائلاً بخبث وهو يكمل قهوته:

-إيه في واحدة حاطط عينك عليها ولا إيه!..

-يعني، مش واحدة بس..



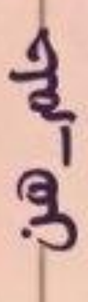
توقفت يد "وِتر" بقهوته متفاجئا، فسأله وهو يرفع حاجبه مستفهمًا بغير تصديق:

-نعم..! مش واحدة بس..! إيه يا حاج متولي... مالك!

-مش قصدي كده... محتار بس.

وضع قهوته من يده على المنضدة أمامهم، وحثه على الحديث:

-محتار في إيه، احكي لي.



صمت "موسى" وهو يفرك يديه ببعضهما مفكرًا دون أن ينظر لـ"وِتر" ثم بدأ في حديثه وهو يشكي له حيرته:

-في تلاتة معايا في الشركة، يعني لافتين انتباهي شوية كل واحدة فيهم مختلفة عن التانية..

-ازاي؟

-يعني واحدة عملية جدًا، وجدعة كدا... بتشيل دايما في الشغل، وعندها رؤية، وقد المسؤلية.. يعني بحس إنها تنفع تبقى سند..

تنهد وأكمل:

-بس بحس إن مفيهاش روح.. أنا عاوز حياة مش سكرتيرة وحلالة مشاكل.

أماء "وِتر" برأسه دون رد، وأكمل "موسى" دون انتظار أو انتباه لرده وهو شارد يبتسم بسمة خفيفة وهو يكمل:

-وواحدة ملهاش في أي حاجة، دايمًا تيجي معترضة على أي حاجة مضمونة؛ تقول... تقليدية، والناس مبتحبش أي حاجة تقليدية...



أي مكان تكون فيه لازم يبقى دوشة... مجنونة، مجنونة بجد مش كلام، بس..

مختلفة، فيها روح مختلفة..

-والتالتة؟

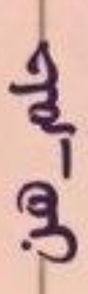
سأله عن الثالثة مبتسمًا وهو يرفع حاجبه وينظر له بخبث ليفك تعويذة سرحانه في تلك الثانية..

ورد "موسى" بعد ثانية تفكير:

-تقدر تقول بين الاتنين، دمها خفيف كدة، من النوع اللي يفك الجو في الأوقات المتنشنة.

-امممم، مشكلة فعلاً؛ واحد محتار بين تلاتة وواحد خايف من واحدة... واضح إن المشكلة فيَّ فعلاً.

ضحك "موسى" بشدة وهو يسأله:



-ليه هو أنت كان عندك شك؟

ابتسم "وِتر" وهو يمسد مؤخرة عنقه بابتسامة متشككة، ورد عليه بسلاسة:

-يعني شك بسيط بس أنت أكدتلي.

-أنت لسه لحد دلوقتي مقلق من الجواز بجد، بعد كل العمر ده ولسه جبان... يا ابني إحنا كبرنا.

-يادي إحنا كبرنا إللي مسكينها لي دي.

-ما دي الحقيقة.

-ما هي يمكن عشان حقيقة، عشان كده قلقان..

-قلقان من إيه؟

-قلقان اتبهدل بعد ما كبرت يا عم.



قاطع حديثهم صوت طرقات على الباب، فقام"وِتر" يفتحه وهو يخبر "موسى" بطريقة وشاية خطيرة وهو يغمز له:

-ده "إسلام".

فتح "وِتر" الباب فصدح صوت "إسلام" بعصبية واضحة على ملامحه وصوته العصبي:

-مبتردش على تليفونك ليه يا أخرة صبري..؟

-على الشاحن يا عم وماسمعتوش.

-ماسمعتوش!..

عادها وراءه "إسلام" حانقًا ووقف وهو يرى "موسى" يجلس على أريكة الاستقبال ضاحكًا بارتياح على شجارهم

الدائم الذي يتذكره منذ سنين، فرحب به بصخب:

-إيه ده "موسى النجار"... ليك واحشة يا راجل..

رحبا ببعضهما، وجلسوا يتحدثوا، وسألهم "موسى" بمرح:

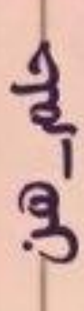
-أنتو لسه ناقر ونقير كده.. وإيه يا ابني الدوشة دي، كل ده عشان مردش عليك على التليفون..

تذمر "إسلام" وهو يخبره بقلقٍ حقيقي لم يتخلص من بقاياه بعد:

-يا عم اتصلت بيه ستين مرة ومابيردش، افتكرت جراله حاجة..

ضرب "وِتر" كفًا على كف وهو يتساءل بتعجب مشتعل:

-لا إله إلاّ الله، يا ابني أنت حاططني في دماغك ليه.. عاوز تورثني يا "إسلام"..؟!



سند "إسلام" مرفقه على مسند الأريكة، ويخبره بلا مبالاة وهو يأخذ تفاحة من أمامه:

-يا عم روح، إيش ياخد الريح من البلاط، أنت حيلتك حاجة تتورث..

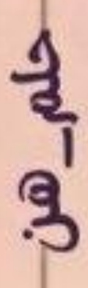
قام "موسى" وهو يضحك على مناكفتهم التي لم تتغير بعد كل تلك السنوات، وأعلن وجوب رحيله، وأوصى "وِتر" بالتفكير قبل رحيله:

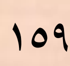
-طب يا شباب أسبيكم تعورا بعض براحتكم، متنساش تفكر في إللي قولت لك عليه يا "وِتر"... فكر هاه.

قام "وِتر" وراءه يوصله للباب ويدعوه للجلوس قليلاً:

-يا عم أقعد لسه بدري.

-لا هروح بقى..





قالها "موسى" ثم أمسك بطرف قميص"وِتر" البيتي وهو يمثل تعديله له وهو يمازحه بسماجة قائلاً:

-وماتنساش تلبس الحتة إللي على الحبل كده، شرفنا قدام العروسة يا عريس هاه..

ضرب "وِتر" على كتفيه مرتين متتاليتين وهو يزيحه تجاه الباب قائلاً:

-طب يلا بقى من غير ما طرود، امشي من هنا... يلا.

نزل "موسى" ذاهبًا، فخرج "وِتر" غامزًا له بخبث وهو يوصيه، رادًا له الصاع بآخر:

-لما تختار يا كزانوفا ابقى عرفني..

-ماشي يا غتت.



قالها "موسى" بضحكة مخطوفة وهو ينزل السلم، فنظر له برأسه وهو يخبره بصوت مشاغب عالي ليصله واضحًا:

-ابقى اكتب أساميهم على ورق كوتشينه، واختار منهم يالا.

-طب خش بقى بدل ما أطلع لك.

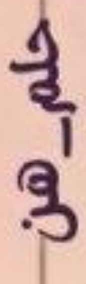
ضحك عليه بتشفي وأغلق الباب، ثم رجع لأخيه يجلس بجانبه فعاجله "إسلام" باستفسارٍ جاد:

مبتردش على تليفونك بقى ليه؟

مسمعتوش، ولا عاوز تخلع!..

-بغض النظر إني عاوز فعلاً أخلع... بس بجد والله ماسمعتوش.

-تخلع هاه، أنت عارف أنت لو مجتش دلوقتي "فادا" هتعمل فيَّ، وفيك... إيه؟



-طب هتعمل فيك ومفهومة، لكن تعمل فيَّ أنا ليه، أنا مالي!..

-تعمل فيك ليه!.. يمكن عشان أنت العريس مثلاً!..

أنت لو ملبستش ونزلت معايا دلوقتي ممكن تيجي تفجرك وأنت قاعد.

اقترب "وِتر" يسأل بشغب وصوتٍ عالي وهو يرفع حاجبه بتهديدٍ مماثل:

-أنت بتهددني أنت ومراتك!..

أجابه "إسلام" بذات الهيئة المشاغبة الخطرة هو يقترب بوجهه منه، ويرفع حاجبه هو الآخر، ثم ضرب بكفه على قدمه بعنف يحثه على الذهاب:



-آه يا "وِتر" بنهددك، وقوم يلا البس يا بابا، يلا حبيبي بدل ما أنت عارف هيجرالك إيه!..

زفر "وِتر" بملل من جديد وهو يطوح بكفه له غير مهتم، ويرجع بظهره للخلف مضجعًا على الأريكة وراءه، وفي تعبيرٍ أوضح "شوح بأيده كدة" ليصيح" إسلام" فيه أكثر وهو يحدجه بنظرة آمرة ذكرته بنظرة أساتذة اللغة العربية:

-قوم يلا، متبقاش عامل زي العيل اللي بنجرجره عشان ياخد حقنة..

أجاب" وِتر "ببؤس، فضحك "إسلام" على هيئته وهو يطمئنه بمشاغبة:

-يا ريتها كانت حقنة يا أخي.



-متخفش يا تيتو شكة دبوس... يلا يا حبيبي ربنا يهديك.

قام "وِتر" مغصوبً ثم رمى الوسادة التي كانت في يده في وجه أخيه بحدة وملامح ممتعضة، ليمسك بها "إسلام" وهو يصيح فيه بينما يقوم للمطبخ يصنع له بعض القهوة:

-مقبولة منك يا محترم... انجز عشان ربع ساعة و"فادا" هتعدي علينا..

-متصدعنيش أنت ومراتك.

سمع صوت "وِتر" الآمر بملل محذر يخترق أذنيه عبر هذه المسافة كلها فآثر الصمت حتى انتهاءه.

خرج "إسلام" من المطبخ بعد إعداد القهوة، وخرج "وِتر" من غرفته في ذات اللحظة تقريبًا بكامل هندامه بذلته



الأنيقة دون رابطة عنق، ليسمع صوت "إسلام" يعلق فخورًا بسماجة:

-عريس يا أخواتي.

فغمز له "وِتر" مهددًا، وهو يشير له بإصبعه في تعجل متخذًا دور قطاع الطرق:

-"إسلام"... انجز ليلتك.

-يا بني إيه البوز ده، أنت رايح تفجر نفسك في عملية انتحارية !.. ما تفك شوية.. بعدين أنت رايح تتعرف مش هنجوزك بالغصب يعني.

أخذ منه فنجان قهوته يرتشفه بصمت ثم أشار له برأسه بملامح وجه امتقعت وفمٍ ممدود بتقزز منه ومن قهوته "الصايصة "وهو يرد بملل طافح هذه المرة:

-اتصل شوف مراتك فين خلينا نخلص.

وفي نفس اللحظة و"إسلام" يخرج هاتفه ليتصل بزوجته سمع صوت اتصالها لتخبره أنها وصلت بالأسفل تنتظرهم، فمسكه يدفعه تجاه الباب وهو يخبره:

-أهي جت تحت أهي، يلا يا أخويا.

وتركا القهوة دون أن يشربوا نصفها، ذاهبين حيث "وَتر" عروس "وِتر" المصون..

**

وصلا أسفل البناية بعد كثير من كلمات" فادا" عن المميزات الخارقة لـ"وَتر" حتى شعر أنها ستستقبلهم بجناحيها البراقين على الباب...



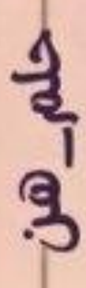
نزلوا ثلاثتهم من السيارة تتقدمهم "فادا" وكأن طفلها من سيتزوج وليس أخو زوجها..

مشيا وراءها صاعدين السلم إلى الطابق الرابع لوجود عطل بالمصعد وعندما علم "وِتر" هذا، شعر إنها علامة وعليه ان يهرب ولكن ما باليد حيلة..

انتبه لـ"إسلام" وهو يكمل باقي مزايا العروس، ويحدثه مستلمًا الدفة من زوجته:

-عارف أنا شفت "وَتر" دي تقريبًا 3 مرات، بس زي العسل..

همهمم "وِتر" زم شفتيه وهو يستمع إلى هذه الجملة للمرة الثالثة تقريبًا من فم أخيه دون أن يشاركه بحديثٍ فعلي:



-هممم.

-هو شكلها يقول لك إنها open minded، بس عليها قفلات صعيدي محصلتش!..

أغمض"وِتر" عينيه وهو يعلق بصوت خفيض:

-الله يطمنك.

-بس بت راجل.

هنا خرجت من "وِتر" ضحكات متقطعة قلقة وهو يحدثه:

-الله يبشرك بالخير.

-ياض قصدي إنها جدعة يعني.

-اممممممم.



وافقه "وِتر" بهزة رأس متفهمة ومرتابة، فنظر له "إسلام" مبتسمًا من شكله وأضاف وهو يحاول بثه بعض الاطمئنان الذي بخره إثر كلماته السابقة:

-دمها خفيف متخافش.

هنا تدخل "وِتر" يسكته مكتفيًا من سماع تلك الكلمات:

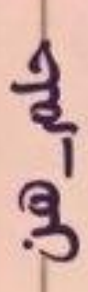
-خلاص يا "إسلام"، خلاص ما أحنا اتدبسنا في الزيارة بسببك أنت ومراتك... ربنا يسترها بقى.

-طب والله حاسس إن المرة دي خير.

انتفض بوجل ينفي بصوت عالي لكنه هامس في الآن ذاته:

-لا، أنت كل مرة بتقول كدة بلقى خازوق عنب... كفاية.. أكتم.

-خلاص، خلاص..



قالها "إسلام" وهو يضع يده على فمه صامتًا بطاعة، فأسكتهم هما الاثنين صوت "فادا" المحذر وعيونها المحذرة بالمثل:

-اسكتوا أنتوا الاتنين بقى، إحنا قدام بيت الناس.

**

منذ خروجها من العمل ووصلوها للبيت ولم تهدأ لثواني..

وهذا ما توقعته نَصًا، فبعد دخولها لباب البيت بدأت مساعدتها القسرية في إعداد الطعام والحلوى، بجانب تلك الأصناف الكثيرة التي أتى بها زوج شقيقتها وهو آتي من العمل إليهم متخذًا دور أبو العروسة على ما يبدو..

ثم وقع على عاتقها المساعدة في تنظيف الشقة للمرة الأخيرة..

وأخيرًا لكامل أسفها تفرغوا لها، وظلوا يحوموا حولها كالنحل وهي تختار ملابسها، فتعترض أمها أن هذا قديم، كما يوجد الأفضل، وتعترض أختها أن هذا لونه كئيب، يجب تغيره..

أما هذا فواسع أكثر من اللازم، وهذا ضيق أكثر من المفترض..

وهذا لطيف لكن ليس لهذه المناسبة..

مناسبة!..

ما هي المناسبة!..



يبدو أن أمها نسيت أو تتعمد النسيان أنها غالبًا سترفض..

يكفي أنه من طرف زوج شقيقتها، "أحمد "هذا البائس.

وبذكر" أحمد"، ظلت تتشاجر معه، وإن لم يرتقي الأمر للشجار الفعلي وهي تحدثه بسماجة واضحة بسبب إحزانه لشقيقتها.. وأمام بعضهما ظلا يتراشقا بالكلمات، حتى سألها "أحمد" بتعجب:

-هي بتعاملني كدة ليه، يا بنتي هو أنا سالف منك فلوس ومردتهاش!

-لا، سالف مني أختي ومردتهاش..

-لا يا ماما، أنا مش سالف أختك، أختك دي بتاعتي أساسًا، وكتر خيري إني سيبتها لكم تقعد معاكم كام سنة.



-هاها، لا والله كتر خيرك، كنت تعالى أولدها وربيها أنت...

وبعدين طالما أنت قافش فيها أوي كدا، بتزعلها وتتخانق

معاها ليه، هاه..

سألته بزعيق حاد في وجهه، وغضبها منه بان على وجهها

المنتفخ المحمر بشدة، لتتدخل أختها تفض الحوار وتأخذ

"وَتر" تلهيها عن زوجها بأن هيا لتجرب زينة وجهها..

فلا تعجبها -لا تعجب "تمارا"-؛ فتمسحها وتعيدها..

والثانية لا تعجب "وَتر"؛ فتمسحها وتعيدها..

والثالثة لم تعجب أمهما؛ فتمسحها وتعيدها..

كانت في سرك حرفيًّا، بسببه سبت هذا الـ"وِتر "مائة مرة

وفي كل مرة تتساءل ما ذنب هذا البائس في حشرتها هذه،

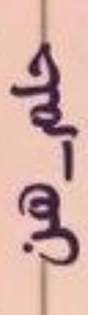
فتستغفر ربها وتعتذر منه وهو غير موجود بالأساس..

وفي كل مرة تخترق كلماتهم الحوار كالوصية، أو ربما لا يكون في الحوار سوى تلك الكلمات أصلاً..

"الشاب ممتاز ومفيهوش غلطة، الحقي اقبلي قبل فوات الأوان"

فوات الأوان..

هل حقًا يجب عليها أن تقبل أي رجل لا تستسيغه، فقط كي لا تقع مع الزمن في لعبة فراغ دائري ينتهي بها خالية الوفاض دون طفل أو ونس؟!



وما تلك الجملة الدائمة المستفزة "مفيهوش غلطة"..

وهل هناك في الكون إنسي بلا أخطاء!

وعندما تطرح حُجتها يقلبونها ضدها ببسالة..

قولتيها بلسانك... لا يوجد إنسان بلا أخطاء، فمن أين لك بأحدهم خالي من الأخطاء!

وهنا تصمت مستسلمة بإرهاقٍ عاجز.

لما لا أحد يفهمها أو حتى يحاول..

هي لا تود أحد بلا أخطاء، هي تكره هذا النوع الذي يمثل أمامها الملائكية وأن كل مشاكله تتخلص في جملة "مشكلتي إني طيب، ده عيبي الوحيد".

ولا هذا الذي يبدأ حديثه بضخ المصائب غير المحتملة على رأسها منتفخًا بجملته الأثيرة " أنا راجل صريح، ومحبش مراتي تناقشني في حاجة، كلمتي تبقى سيف، وتستحمل عصبيتي وتكسيري وقت نرفزتي"

ما معنى عصبية وتكسير؟!



هل يجب عليها أن تتحمل الإهانة وبعثرة الكرامة، فقط كي لا تكون "عانس"؟!

هل حقًا عليها أن تقبل أن تكون وجبة دائمة شهية إلى وحش القهر والوجع كي لا تكون وجبة لشبح الوحدة والفراغ؟!

أين العدل يا بشر؟!

أين الوسط يا معشر الرجال؟!

تنهدت بتعب وهي تعترف بأفكارها...

ربما ما يقولونه عنها صحيح..

هي تحبس ذاتها في شرنقة لن تخرج منها إلا وقد... فات الأوان.



دار في خلدها هذا الاحتمال وهي جالسة بإرهاق مع اختها،

وتداعب الصغيرة ببسمة مرهقة..

فسمعا صوت جرس الباب ليعم الهرج الهامس، و"تمارا"

تشدها من يدها لداخل الغرفة، بينما يعدل "أحمد" ياقة

قميصه ويفتح الباب.

**

بداية المقابلة تقليدي، فلا داعي للشرح أو الإسهاب..

حيث الأم ترحب بالضيوف وزوج الأخت يعلن نورهم،

فيرد عليه شقيق العريس بأن لا نور هنا إلا نورهم هم،

فتتدخل المرأتان بأن ونعم النسب والله، وربنا يتمم بخير..

فيتملك القلق من "وِتر" عند هذه الجملة وهذه الأريحية،

ويخشى أن يشاهد المأذون يدخل عليهم ويطلب بطاقته وبطاقة العروس التي لم يرها بالمناسبة للآن، ويعلنهم زوج وزوجة، وبارك الله فيما رزق، ويكون هذا أكبر مقلب اتخذه في حياته..

ينفض رأسه بعينين مرتبكتين ليطرد تلك الفكرة منها ثم يميل على شقيقه، يسأله بصوتٍ هامس:

-هي إللي قاعدة هناك دي العروسة، حاسس إني شفتها قبل كده..

-يخرب بيتك دي أختها، مرات "أحمد" أخو "فادا" قاعد جمبها أهو... إللي حضرنا فرحهم من سنين، ركز.



ضغط على جملة "من سنين" لكي "يحس على دمه"، ولكن لم ينتبه "وِتر" لهذا وهو يطرقع إصبعيه مبتسمًا ويشير له بهما، علامة "صح، بالظبط":

-مش بقول لك حاسس إني شفتها.

-طب اكتم بقى واسكت.

دخلت "وَتر" تحيِّ الحاضرين وتسلم على" فادا" بحبور وعندما نظرت إلى العريس بابتسامة خاصة في سماجتها تدخرها لوقت الحاجة حتى سقطت من على شفتيها وهي متفاجئة..

أليس هذا هو الرجل الذي قابلته اليوم في المصعد، وكانت متأكدة أنها رأته!..



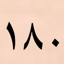
نعم نعم... لقد تذكرت، هذا هو حفيد شاروخان النسخة المعربة كما لقبته بسبب شعره..

وهذا هو العريس المنتظر إذًا!..

وعلى الجانب الآخر عندما وقعت عينه عليها تذكر على الفور وحاجبه يرتفع تدريجيًا بإدراك مع بسمة جانبية ترتسم على شفتيه بهدوء..

ها هي فتاة المصعد، هي إذًا شقيقة العروس الذي حضر فرح شقيقتها على شقيق "فادا" زوجة شقيقة..

والتي راهن يومها على أن شعرها هذا ليس بحقيقي؛ وإنما خدعة من خداعات عالم التجميل، وقد صدق فها هو طوله الذي بلكاد يصل إلى كتفيها دليلٌ قاطع على صدقه..



كما ذكرته عيونها بعيون الإنمي.. فوسعهما غير طبيعى،

ولكن يبدو أن لا دخل لعالم التجميل في ذلك..

ظلا ينظرا لبعضهما بتحدي مجهول السبب، وكأن كلٍ

منهما علم أن الآخر شبع من تنمره عليه..

ظلت تحدجه هي ببسمتها السمجة، وقد استردتها سريعًا..

وهو برفعة حاجبه، وبسمته الجانبية..

ولكن ولغرابة الوضع كانا مستمتعين بتلك النظرات

المتحدية..

دقائق من الحديث المشترك بين الجميع ثم تركوا

العريسين بمفردهما ليتحدثا مع بعضهما منفردين

ويتعرفا كما تقتضي العادات..



وهنا وقع "وِتر" في أكثر المواقف الذي يكرهها وأكثرها طرفًا..

حيث يقع على عاتقه المسكين فتح حوار جاد مفترض أن يستشف منه طبيعة المرأة التي من المفترض أن تشاركه حياته كلها وليس فقط بضع ساعات في العمل..

وبما أنه HR شاطر، ماهر، ومشهود له بالكفاءة؛ فكر..

يا ترى هل يبدأ معها بـ"ما رأيك في الشركة"... شركة الزواج بالطبع.

أم "شايفة نفسك فين بعد خمس سنين"... بعد خمس سنين من تدبيسها في شركة الزواج بالطبع أيضًا.

نفض عن رأسه هذه الأفكار وتنحنح وبدأ بأغبى مقدمة ممكن أن يبدأها أحد:

-إحنا اتقابلنا النهاردة صح؟!

رفعت حاجبها مقتضية به وهي تجيب:

-أنت إيه رأيك؟!

ومعلومة أولى... "لسانها طويل".

-امممم، شكلك مش طيقاني..

مثلت الدهشة وهي تشير على نفسها، متسائلة:

-أنا قولت كدا!..

-في حاجات تتحس وماتتقلش يا أنسة.

كتمت ضحكتها ثم تنحنحت تجليها، وسألت باستمتاع لا تدري سببه، وقد علمت من أختها قبل أن يأتي كافة التفاصيل ولكنها أرادت أن تستمع منه وتستنفذ بعض الوقت..

وتدرس طريقته في الحديث والحياة، علّه يتمتع بالغرور كما تتوقع:

-طب كلمني عن نفسك شوية مميزاتك، عيوبك...

وختمت حديثها قائلة ببسمتها السمجة:

-وشايف نفسك فين بعد خمس سنين؟

-لا والله!..

قالها "وِتر" متفاجئًا بغيظ وعيون ضاحكة، لتوضح له "وَتر" ببراءة كاذبة:

-كزوج طبعًا..

ومعلومة ثانية... "تتمتع بخفة ظل قاتلة".

نظر لها بصمت وضيق عينيه وهو يستند بمرفقيه على قدميه:

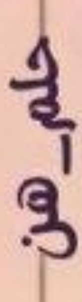
-بصي هعرفك حاجة.. الـHRعامل زي وكيل النيابة؛ يسأل ومايتسألش.

-لا والله!..

رفع حاجبه مع بسمة جانبية وداخله يهنئه بانتصار..

نال منها..

-والـHR لما بيقعد قدام وكيل النيابة..



وضغطت على تلك الكلمتين توصل له رسالة؛ والتقطها بنباهة فرفع لها حاجبيه معًا وأماء برأسه بخفة وتفهم مغمضًا عينيه يوضح أنه قرأ مضمون الرسالة، فأكملت:

-بيسأل ولا بيتسأل؟!

معلومة ثالثة... "ستحيل حياته جحيم"... لكن لا بأس.. إلى الآن.

صمت لحظتين ثم بدأ في سرد معلوماته الذي يوقن من أنها بالفعل تعلمها، كما سردها بطريقة الجواب على وكيل نيابة بالفعل:

-"وِتر كامل السويسي"... 32سنة... ساكن في مصر الجديدة، وبشتغل مدير HR في شركة... في نفس العنوان إللي حضرتك شغالة فيها..

تسمحي لي أسألك بقى عن معلومات حضرتك؟

بدأت "وَتر" هي الأخرى بسرد معلوماتها بذات الطريقة:

-"وَتر زين العرباوي"... 27سنة... ساكنة مكان ما حضرتك مشرفنا هنا... وبشتغل مهندسة معمارية في العنوان إللي حضرتك شغال فيه فعلاً..



وعلى هذا المنوال استمرت المقابلة.. يسأل السؤال، فترد عليه بتناحة..

وتسأل هي سؤال، فيرد عليها بسماجة، وهكذا حتى سألت سؤالٍ ودت حقًا لو سألته له من أول لقاء في عرس أختها:

-طب ويا أستاذ "وِتر" يا ترى ما هو الـ Hiar care routine اللي حضرتك بتستخدمه عشان شعرك يفضل عنده صحة للكثافة دي لحد دلوقتي.

اتسعت عينيه بصدمه من هذا السؤال خارج المنهج، مع مرأى عينيها الخالية من المذاح والصادقة في رغبة المعرفة على ما يبدو.. فابتسم بزهوٍ وسأل:

-ده قر.

-لا، دا حسد.

قالتها بابتسامة صادقة وشفتين ممطوطتين، محمرة الوجنتين، ثم ابتسمت ابتسامتها السمجة من جديد مظهرة أسنانها، فأجاب "وِتر" بنزق وهو يختال بشعره يتخلله بأصابعه، مذكرًا إياها بإعلانٍ لعلامة تجارية شهيرة لشامبو ضد القشرة:

-دي حاجة ليها علاقة بالنوايا.. أسلكوا أنتوا بس وربنا هيبارك لكم في شعوركم.

قالها رافعًا حاجبه، بينما هي لا تزال صامتة رافعة إحدى حاجبيها بانتظار وبسمة جانبية، ولا يعلم لما قلقته هيأتها فآثر السلامة وهو يجيب متنحنحًا:

-احم.. عامة دي حاجة من عند ربنا، المهم إللي يهتم.

-وبتهم ازاي ببقى، وخد بالك إن ده كان السؤال أصلاً.

-أنت ليه محسساي إننا قعدين في كوافير حريمي.

ودت حقًا الضحك ولكنها صمدت تعض على باطن وجنتها تمنعها من الضحك أو التبسم وهي تستمر في الصمت محافظة على ذات تعبيرات الوجه ببسالة، فتأفف مستسلمًا وهو يجيب:

-أكل صحي وفيتمينات.. ولو مابتكليش صحي زي حالاتي يبقى عوضيه بأكل أي حاجة خضرا على طول.. البروكلي مثلاً.

-بروكلي.. أنت بتاكل بروكلي؟!!



سألت بعينين شاخصتين وملامح وجه ذكرته بملامحه وهو يستحي قهوة "إسلام"، فسألها بارتياب:

-ماله البروكلي؟

-طعمه وحش أوي.

-البروكلي طعمه وحش!!..

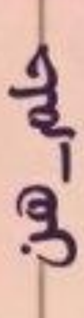
سأل بعدم تصديق بأن هناك عاقل لا يحب البروكلي، وأجابت هي بذات الامتعاض.

-آه أوي

-والله ده اللي عندي.

قالها مستعيرًا منها بسمتها السمجة وهو يرسمها على محياه.

-طب خلاص أقفل على الموضوع.



قالتها "وَتر" وهي تهمس "ما منكش فايدة" ليسمع همستها لنفسها فارتفع حاجباه واتسعت عينيه وكاد يتحدث فعاجلته بسؤالٍ جاد سريع.. أن هل ارتبط بشخص من قبل، فأجاب بصراحة يحسد عليها وهو يجاريها في تغير وجهة الموضوع طالما وصلت لحد امتهان البروكلي العزيز:

-يعني محصلش ارتباط رسمي قبل كده خالص، بس أنا شخصيًا واخد على دماغي بعدد شعر راسي..

من أيام الجمعة لحد من كام سنة قريب لما اقتنعت إني ماليش جواز.

نظرت لشعره الكثيف جدًا، والذي حقًا يستفزها وكأنه أثر على غيظها به، فمطت شفتيها وهي تخبره:

-صراحتك مريبة.



-لا حوشي صراحتك إللي مش مريبة..

وافقته وهي تهز رأسها دون كذب:

-معاك حق.

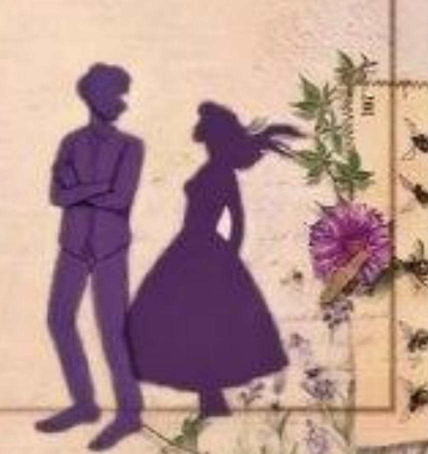
-وأنت، ارتبطي قبل كده؟

سألها هو الآخر ذات السؤال برغبة حقيقية في المعرفة، فأجابت بسلاسة واستسلام وكأنها تخبره أن الطقس جميلُ مشرق:

-لا للأسف، عشان كدة خازوقي هيبقى أورجانيك.

نظر لها بعيون واسعة وضحكة خافتة على هذا التصالح الذاتي المربك:

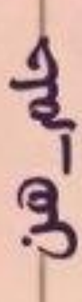
-الـ positive energyعمتني.



-أنا واقعية، قول لي بقى... إيه رأيك في الجواز!..

حبه ولا كرهه.

كاد يجيب ولكن قاطعه رنين هاتفه فاستأذنها قبل أن يجيب على سؤالها يرد على هاتفه في طرف الغرفة، ويبدو أنها مكالمة هامة لكي لا يرفضها.. ترى هل متزوج في السر، أم أنها صاحبته الذي يواعدها ويوعدها بالزواج كذبًا ولا يريد الزواج منها؟..



ثم عاد يقاطع أفكارها وأجابها مبتسمًا:

-حبيته علشانك..

قالها وابتسمت، وفي تعبير آخر "كلها بالكلمتين"..

و انتهى اليوم..

والغريب أنه وافق، والأغرب أنها وافقت..

وكانت من أسعد أيام عمرها..

حيث عاشت فيها معانى الحب التي لم تختبرها يومًا..

وأتى موعد الزفاف... اليوم الذي سيتوج فيه عشقهما حديث الولادة..

ومرت سنة، فالثانية..

وبدأت التغير، والخناق والصوت العالي، والانتقاد الدائم على أي سبب، مهما بلغ صغره أو تفاهته..

حتى أتى يوم لم تشرق له شمس؛ جاء هو من العمل حانق على كل شيء وكذلك هي..

وبدأت فقرة الخناق اليومي حتى تطور الأمر..

وللمرة الأولى يضربها..



يضربها بقسوة وعنف حتى اضطرت أن تدافع عن نفسها وإلا كانت ستموت في يده، وهذا ما ستدافع به عن نفسها أمام القاضي..

فأخذت المزهرية من على الطاولة بجانبها وبكل قوتها هوت بها على رأسه..

فرأت جسده يضرب الأرض وقد تحول إلى جثة هامدة..

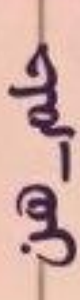
جلست بجانبه غير مصدقة لهذا الذي حدث وهي تتساءل بخبال..

هل حقًا قتلته!..

هل ستعدم من أجل هذا!..

حقًا هل ستموت وتنتهي حياتها بسبب غباءه، وساديته!..

وماذا عن أطفالها... هل سيتيتمون أبًا وأمًا!..



لحظة هل هم عندهم أطفال من الأساس!..

أين هي؟!..

من أتى بها إلى هذا المكان المقبض!..

قاطع أفكارها المحبوكة بالخوف، أو خيالاتها المرعوبة انتهاء مكالمته وجلوسه مرة أخرى وهو يعتذر منها من جديد مبتسمًا بارتباك من هيئتها المتغيرة، يسألها أين توقفا، فانتفض عائدة من البعيد، ساهمة فترة ثم اقتربت منه بجسدها وعيونها تشع بخطرٍ وكره فتغضن جبينه بقلق وسمعها وهي تهمس بخفوتٍ خطير:

-أنت بقى هتمثل الجدعنة وخفة الدم واللطافة، فأوفق نتخطب، فتعمل كل حاجة جميلة في الخطوبة فأحبك...



فنتجوز... فتقوم بقى مبهدلني ومطلع عيني ومتخانق معايا كل يوم..

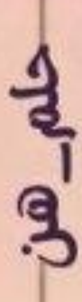
فأجيب أخري، فتضربني فأقوم دباك بالفازة على دماغك، فتموت وتحبسني وتضيع مستقبلي... صح!

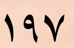
نظر لها "وِتر" ببلاهة وفم مفتوح على آخرة من صدمة تلك الكلمات..

وتساءل ما الذي طرأ عليها لتقص عليه هذه القصة المخيفة بهذه النظرات المخيفة أكثر، والتي شاهد تحولها أثناء سرحانها منذ قليل وهو يتحدث على الهاتف..

هل كانت مكالمته السبب!..

هل قال شيء فيها أوحى لها بهذه القصة الدموية العجيبة!..





وقطع أفكاره المتسائلة صوتها وهي تقول له بصوتٍ

خفيض وعيون شريرة:

-بقول لك إيه، احنا طولنا أوي، يلا نقعد معاهم أحسن.

خرجا يجلسا معهما وهي تنظر له بشرٍ وهو باستغرابٍ

جاهل بصدق مصحوب بضيقٍ جم..

وانتهت الأمسية وبمجرد أن خلت كل أسرة صغيرة بكلٍ

منهم حتى أعلناها على الفور بطريقة منعت محاولة أي

أحد لمناقشتهم:

-دا مجنون.

-دي مجنونة.

وعُلم الجواب قبل أن يُنطق السؤال..



الرفض القاطع... وبدون إبداء أسباب، لعدم وجودهم بالفعل.



الخاتمة..

الأربعاء.

2/2/2022.

**

النهايات ما هي إلا بدايات جديدة... دباجة مللمناها.

فالنهاية والبداية نقطتين في دائرة واحدة متصلة لا سبيل لانفصامها... حسنًا مفهوم.

ولكن ماذا لو كانت النهاية ليست بداية!..

ماذا لو كانت النهاية حاجز رفض أبطال الدائرة اجتيازها!..

ظلوا واقفين عندها يمدوا رؤوسهم ويشخصوا أبصارهم في محاولة لاستشفاف ما تحويه تلك البداية من غموضٍ يجزموا أنه كارثي..

خافوا الخطوة فأعلنوا العصيان نادمين، ومُصرين..

لا هم قادرين على إكمال النهاية ولا الاستعداد للبداية..

أوقفوا الدائرة... فلا أتموا النهاية التي اعتادوها، ولا عبروا للبداية التي يرجوها..

في تمام المنتصف عَلقوا..

علق بتردد، وعلقت بخوف..

خوف صارت لا تحتمل التفكير به وهي تخرج من مقر الشركة بعد انتهاء دوام اليوم..

خرجت بذهن مرهق من يوم عمل طويل، لكن كان يصحبه اليوم تشتت اتنباه؛ هناك زائر ثقيل الظل والحضور، وغير مرحب به في رحاب أفكارها منذ فترة..

ولأول مرة في تاريخ مقابلتها للعرسان تتساءل..

هل كانت حقًا تلك المرة مجحفة؟!..

هل ستندم عليه في يومٍ دون قمر تكون فيه وحيدة!..

لن تنكر كان لطيفًا، ومريحًا؛ وهذه الأهم..

لكن أفكارها الجانحة لبعيد حيث الهلاوس المريرة التي احتلتها أثناء جلوسه إثر اللطمة التي لطمتها قبل زيارته بيوم عندما استمعت لكوارث أبناء آدم، وصياح بنات حواء من زميلاتها في العمل.. أربكتها.

ركبت المصعد بآلية وضغطت على زر النزول ليوقفها أحدهم بالطابق الأسفل ويشاركها المصعد، وهذا الأحدهم كان هو دون غيره...

مرة أخرى، من جديد.



عمَّ الارتباك الصامت عندما رآها وقد كانت سيدة أفكاره منذ قليل؛ حيث ظل يتساءل داخله أكانت حقًا مجنونة كما وصفها، أم أنها فقط نسخة مسكينة منه!..

تردد في الدخول، ثم حسم أمره؛ ففي نهاية الأمر هي لا تمتلك المصعد..

دخل وأغلق المصعد أبوابه، وعم الصمت يتخلله بعض النظرات المحرجة..

محرجة لما؟

لا يدروا... هذا حدث..

وكما حدث في المرة الأولى قبل شهر تقريبًا، حدث اليوم أيضًا..



اختلسا النظرات لبعضهم البعض دون أن يلاحظ أحدهما الآخر، حتى نظرا لبعضهما في ذات اللحظة، فضبطا متلبسين بجرم الفضول المهتم... ليعودوا بنظرهم إلى الأمام على الفور، وهما محمري الوجه بحرج زائد ولم يلتف أحد حتى بعينيه، حتى فُتح باب المصعد أخيرًا، ففر "وِتر" على الفور أولاً، ولحقت به" وَتر"، ذاهبين إلى "جراج" السيارات، كلٍ منهما ركب سيارته في طريقه دون التفاتة واحدة للوراء.

*



سارت "وَتر" بالسيارة ذاهبة إلى المنزل وعقلها لا يتوقف، حتى شعرت بالسيارة تبطئ حركتها تدريجيًا، ثم بدأت في التوقف بالفعل، فصفتها بصعوبة على جانب الطريق وهي تتأفف بعصبية معلقة:

-كملت!

نزلت من السيارة بحنق وفتحت مقدمتها في محاولة يائسة لفهم ما حلَّ بها، ولكن بمجرد أن فعلت وراجعت على الأشياء القليلة التي تعرفها ووجدت كل شيء مظبوط كما تلصم معلوماتها، حتى ارتسم على وجهها القلق وهي تنظر لمعالم الطريق غير عالمة ماذا عليها أن تفعل في هذا الموقف..

أولاً: لا توجد سيارات تقف لتنقلها.



وثانيًا :حتى وإن وجدت، فبالتأكيد لن تترك سيارتها هدية

للصوص في هذا المكان..

نظرت حولها بخوفٍ، وعجز عن التصرف الصحيح..

حاولت الاتصال بأحد الميكانيكية الذي تتعامل معه ولكن

دون رد، كررت المحاولة وحصلت على ذات الإجابة..

في هذه الأثناء مر"وِتر" من ذات الطريق ولاحظ وقوفها

على تلك الهيئة فوقف على بعد منها وهو يتساءل لما تقف

بهذه الطريقة وحدها؟!

رجع إليها ووقف أمام عربتها، ونزل من سيارته ذاهبًا إليها

يسأل وهو ينظر للعربة المفتوحة مستفهمًا:

-في مشكلة ولا إيه!..



نظرت له بعجزٍ حائر وعقلها يزيد من حنقها على ذاتها وعلى اليوم وعليه أيضًا وهي تفكر "ماذا إن فكر في كونها فعلت هذه الحركة مخصوص كي تلفت انتباهه"!..

اضطرت إلى الرد وهي تنظر العربة بدورها:

-وقفت مني مرة واحدة، مع إنها كانت كويسة الصبح..

اقترب "وِتر" من مقدمة السيارة بدوره يحاول فهم ما المشكلة ولكن كل شيء يبدو في موضعه سليم على حد علمه..

ابتعد من أمام السيارة وهو يخاطب "وَتر" مطمئنًا، بينما يخرج الهاتف من جيب بنطاله:

-طب متتقلقيش... خير إن شاء الله.



ثم ابتعد خطوتين من أمامها وهو يتصل بأحدهم دون رد..

كرر الاتصال أكثر من مرة، وهي تراقبه وتراقب الطريق والسيارات المارة من أمامهم بسرعة مقبضة، وازداد قلقها وحرجها من هذا الموقف السخيف التي أُقحمت فيه بين لحظة وأخرى..

سمعت صوته في اللحظة التالية يصدح بمرح:

-إيه يا "سمسم".

عندما سمعت تلك الجملة خارجة منه بمرح دمدمت شفتيها بحنق وبشكل غير ملحوظ وهي تربع يديها وتستند على عربتها محدثة نفسها..

"سمسم"... ما قلة الذوق هذه؟



ألا يستطيع الانتظار عدة دقائق قليلة ليكلم سمسمته الحبيبة أم أن شوقه بلغ الحلقوم لتلك الدرجة!

قطع أفكارها الحانقة صوته من جديد قائلًا بجدية:

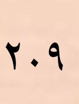
-بقول لك إيه، أنا عربية حد تبعي وقفت على الدائري ومحتاجك حالًا..

تنحنحت بوجه محمر وهي تعترف بحرج لنفسها..

حسنًا لقد ظلمته، هي مدينه له باعتذار على سوء نواياها..

ولكن هل يعتذر المرء على أفكاره!

سمعته وهو يمليه معالم الطريق الواقفين به، وشكره ثم أغلق الهاتف..



ظلت دقيقة كاملة صامتة تنظر للطريق بعدم راحة وتفكير في سبب رجوعه ووقوفه لها في هذا الموقف المستفز بل ومساعدتها أيضًا، ثم سمعت صوت مشاكس خارج منه وهو يتساءل:

-هو أنت على طول سرحانة كدا؟

وكانت على حافة الانفجار وتبتهل بأي شيء تخرج فيه حنقها، فأجابت بشيء من حدة لم تقصدها في الواقع وهي تبعد بظهرها عن سيارتها لتواجهه:

-لا ما أنا مش هبلة عشان أسرح كل شوية يعني... أنا بس بفكر في حاجة مهمة.



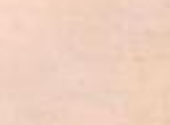
وضع يده بينهما حاجز وهو يبتسم في محاولة لتخفيف هذا الاندفاع المتأهب للخناق، والذي أثار تعجبه أن هيئتها تلك أثارت المرح داخله أكثر من الحنق أو الغضب:

-بالراحة بالراحة، ليه الخناق ده مرة واحدة، أنا بهزر.

تنهدت من جديد وبعدت وجهها عنه وهي تنظر للبعيد، ورجعت تستند بظهرها على السيارة من جديد تتأمل في اللا شيء..

وقف بجوارها يستند على السيارة هو الآخر ينتظر "سمسم" حتى سمع صوتها يردد بهدوء وخجل دون أن تنظر إليه:

-شكرًا جدًا على مساعدتك... مش عارفة كنت هعمل إيه لوحدي؟!



نظر إليها وهو يومىء برأسه مبتسمًا قائلاً:

-لا شكر على واجب.

ظلوا واقفين حتى أتى الأستاذ "سمسم" بنفسه وسلم عليه ثم تبادلوا بعض الكلمات حول حالة السيارة، وذهب إليها يستكشف المشكلة حتى رجع محدثًا "وِتر":

-لا بسيطة يا "وِتر" بيه ساعة إن شاء الله وكله يبقى تمام.

هنا نظر "وِتر" إلى "وَتر" وعرض عليها جديًا:

-ممكن أروحك وأبقى أجيب لك العربية بنفسي لما تخلص.

-لا شكرًا، أنا هستناه يخلصها واخدها.

-طب، إحنا مش هينفع نقف في الشارع كده..

-طب هعمل إيه!..



صمت "وِتر" وهو يفكر في حل ما ولكنه لا يضمن رد فعلها ولا إلى أين سيذهب بها تفكيرها:

-ممكن نقعد في أي كافيه، لحد مايخلص.

-نعم!..

قالتها ونظرت له بعينين متسائلتان بتحذير وهي ترفع حاجب، ليرد عليها بوجهٍ جاد، ثابت وهو يوضح لها:

-هنقعد في مكان عام... مش هنقف على الدائري كدة أكيد.

تنهدت وهي تفكر في كلماته المقنعة للأسف، فوافقت وذهبوا في طريقهم بسيارته حيث أي كافيه قريب..

*



ذهبا إلى مقهى قريب وجلسا على طاولة في المنتصف، فأتى النادل على الفور ليسألهم عن طلبهم، فسألها "وِتر" عن طلبها:

-تشربي إيه؟

-ممكن قهوة مظبوط.

-اتنين قهوة مظبوط..

طلب قهوتهم من النادل وراقباه ينصرف وظلل الصمت بظلاله عليهم وكلٍ منهم يبحث عن كلمة يشق بها ظلام الصمت ليشرق بها صباح الحوار المختنق..

دقيقتان وأتى النادل يضع لكلٍ منهما طلبه وعند رحيله بدأ "وِتر" دون مقدمات بسؤالٍ صريح:

-مخدتيش وقت تفكري، صح؟



جاوبته وهي تمسك فنجان قهوتها:

-يعني أنا قولت أنت أكيد هترفض، وأنا ما ارتحتش، فمفيش داعي أديهم أمل على الفاضي..

-أنت مين قال لك إني هرفض.

-وأنت ما رفضتش!

تنحنح بإجابة متوارية على صدقها فعاجلته قائلة:

-أنت عاوز تتجوز ليه يا "وِتر"؟

أخذته على حين غرة لن ينكر..

أجابها بما يسمعه يوميًا من الجميع ويغرونه به، وهو يمط شفتيه وعيونه تبتعد عن مواجهة عيونها لكي لا ينكشف عدم اقتناعه التام، وفي الأخير بما يجي داخله صدقًا:

-استقرار، أسرة... اممم خوف من الوحدة..

قاطعته "وَتر" بتقرير بصلب المشكلة:

-بس الجواز بهدلة.

يوافق بداخله وينكر بحديثه:

-أكيد مش مع كله.

-معرفش حد غير وهو ندمان إنه اتجوز.

للمرة الثانية يوافق داخله وينكر بلسانه:

-بس أكيد في ناس سعيدة.

يدافع بأمل داخله، وتكمل هي بما ينهش داخلها -وداخله- وتراه في قصص الجميع:



-أنتم ملكمش أمان، أهم حاجة عندكوا نفسكم وبس حتى لو هتدوسوا على الست إللي معاكم.

هذه الكلمات الخبيثة ضايقته، فسألها بوجه حانق:

-أنت بتعممي ليه؟!

-عشان مشفتش واحدة أعرفها اتجوزت واتنصفت، كلهم انطفوا..

أنت عارف في كام واحدة من صاحباتي متبهدلة من جوزها؟

استفزته حد الصراخ المكتوم واحمرار الوجه وهو ينفجر بالمثل:



-وأنت عارفة في كام واحد من صحابي ومعارفي بيشتكي لي إن مراته مش مستحملة حياته ولا مشاكله، ومعيشاه في جحيم.

أكملت وكأن كلماته لم تدخل أذنيها، أو ربما بالفعل هي لم تستمع لها من فرط الانفعال:

-إهانة، وبهدلة، وضرب، وخيانة..

أكمل هو بذات الطريقة وقد عدته طريقتها المحمومة في الغضب المنفجر متأخرًا:

-أنانية، وطمع، وتسلط، وكذب..

مالت على الطاولة وهي تكمل بملامح وجه متهمة وكأن كل انحرافات رجال الأرض اجتمعت فيه:



-تعرف أول حاجة يعملها الراجل لما يختلفوا، يمد إيده عليها، وإللي يهدد إنه هيتجوز عليها..

وإللي يشتم ويهين، والمحترم منهم أوي ينتقد فيها عمال على بطال لحد ما يمحي ثقتها بنفسها ويكرهها في عيشتها ودنيتها.

-يا سلام... وأنتوا إللي ملايكة أوي..

مش أنتوا إللي بتكرهوا الواحد في عيشته، ويبقى مش طايق يروح بيته حتى من النكد إللي مستنيه..

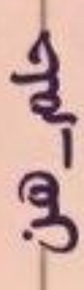
شكوى عمال على بطال، من أمه، من أخته، من مرات أخوه، منه هو شخصيًا.. المهم أي شكوى تنغص عليه عيشته بيها وخلاص..



وطلبات، طلبات، طلبات؛ تخليه عامل زي التور في ساقية عشان يرضي الهانم وبردو مترضاش..

ومش إحنا بس إللي بننقد على فكرة، أنتو كمان معندكوش غير الانتقاد وأي حاجة يعملها وحشة أو غلط أو مبيفهمش..

دايمًا تحسسه إنه مقصر وإنه مش راجل ولا عارف يكفي بيته.



وبعد العيشة إللي تمرض دي تطلق وتاخد إللي وراه وإللي قدامه، ويبقى ناقص تبيعه هدومه.

-الطلاق، بتتكلم على الطلاق وإن يا عيني بتخرجوا مظاليم منه، ما بتشوفوش الست بتطفح الدم في الصرف والعيشة والتربية لوحدها...

وكام أب رامي عياله ولا كأنه يعرفهم ومستخسر يصرف عليهم.. وكأنها هي إللي جيباهم لوحدها..

-وفي كام ست حرَمت أب من ولاده ومش مخلياه حتى يشوفهم؟

-الطلاق مبيعبش الرجالة بس شوف كام وحدة اتبهدلت وسيرتها بقت على لسان إللي يسوى وإللي ما يسواش بسببه.

-وكام واحد اتخرب بيته بسبب مصاريف الطلاق، وإللي اتحبس منهم بسبب ورقة ولا قضية متفبركة عشان بس تكسره، وتجيبه الأرض..

صمت الاثنان فجأة لاهثين من تلك الحرب الكلامية.



ليس لخلو جوارهما من الخبرات الكارثية للغير ولكن لإنهاك أنفاسهما التي لم يلتقطوها وهم يتقاذفوا بقذائف الحقائق المنقوصة..

هذا لم يكن حوار..

ربما كان انفجار متأخر طال كتمانه، لذا عند تلك اللحظة انفجر دون أن يحاول أحدهم كبح لجامه..

وربما كان انفجار حميد أيضًا..

انفجار حدث ليفرغِ طاقة الغضب الممتلئة على أخرها داخلهم..

أتى النادل يحمل كوبين من الليمون البارد وهو يضعهم أمامهما بصمت..



ليمون بارد في صقيع فبراير، هو لا يتذكر أن أيٍ منهم طلب هذا المشروب، لكن لا بأس به لتهدئة الأعصاب المشحونة، فسمع النادل وهو يوضح متنحنحًا:

-إحم ده ليمون ساقع، هدية من صاحب المحل يا فندم عشان يهدي أعصابكم.

ثم تركهم وغادر وهم ينظرون له مستغربين ثم التفتوا إلى جانب كلٍ منهم؛ هي تنظر إلى اليمين وهو إلى اليسار وبدلوا اتجاه النظر ليجدوا كل الطاولات وهي تحدق بهم..

هنا تنحنح "وِتر" بحرج وهو يسألها بحنق وملامح وجه خبيثة:

-عجبك الفضايح دي؟



ربعت يدها إلى صدرها ورجعت بظهرها للخلف وهي تهمس بوجه متبرم:

-وأنا مالي، ما أنت كمان عليت صوتك، ونرفزتني.

أشار لليمون بعينيه قائلاً بذات ملامح الوجه:

-اشربي الليمون.

صمتا فترة وهما يشربان الليمون حتى هدءا قليلاً وظل الصمت قائما بعض الدقائق وكلٍ منهم مشغول في كلمات الآخر..

بعد تفكير اقترب "وِتر" من الطاولة وهو يعرض ما يجول في خاطره عليها بجدية:

-تيجي نعمل Deal ؟

نظرت له بشك وهي ترفع حاجبها متسائلة:



-deal.. Deal إيه؟!

-واضح إنك معقدة من الجواز، ودي مش حاجة عيب بالمناسبة، يعني أنا كمان معقد زيّ زيك..

الأشكال إللي الواحد بيشوفها كل يوم تخليه يكره نفسه مش يكره الجواز بس.

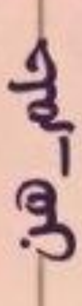
فأنت معقدة، وأنا بائس... فتعالي نجرب.

اقتربت "وَتر" هي الأخرى من الطاولة، وهي تشبك يديها أمامها متسائلة:

-نجرب... نجرب إيه بالله!

-هنجرب إيه بالله عليكي يعني، هنتخطب.

نظرت له وهي ترفع حاجبها دون رد، وفي النهاية سألته وهي تحاول كتم ابتسامتها:



-أنت بتلطف، هاه؟

نظر إليها بيأس وفم مزموم وهو يجيب؛ بينما صراحة كلماتها تكاد ترديه قتيلاً:

-بحاول، بس إللي يفهم.

-ولو لبست في حيط؟

-نصيبك.

-الله يطمنك.

ضحكا سويًا بخفة مهمومة في سابقة لم تحدث من تهدئة الوضح المحتدم بينهما دون سبب ملموس، خفتت ضحكاتهما تدريجيًا، لتبدأ "وَتر" هذه المرة بالكلام بجدية:

-طب أنا عندي شرط.

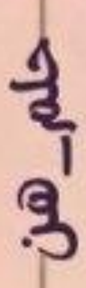
لم يتفاجأ "وِتر" في الواقع لذا أجابها بهدوء:

-طبعًا، إيه هو..

-هو مش شرط هو زي اتفاق..

تعرف اتفاقات الورقة والقلم ..دستور الارتباط!

انقبض وجه "وِتر" بعدم فهم وشيء من ارتياب يزحف داخله؛ فتساءل:



-ورقة وقلم... يعني إيه؟

ردت على الفور وهي تشرح بحماس يراه للمرة الأولى:

-يعني هنجيب ورقة وقلم ونعمله دستور..

الخطوط الحمرا عند كل واحد وإللي بمجرد ماتحصل يبقى كده خلاص..

الحاجات إللي مبيحبهاش، الحاجات إللي ممكن ميستحملهاش..

طريقة تعبير كل واحد عن الإعجاب، وطريقة كل واحد إللي يحب يتم التعبير بيها ليه... وهكذا

ابتسم "وِتر" معجبًا ومؤيدًا، وهو يمط شفتيه معبرًا:

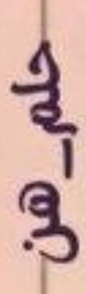
-فكرة لطيفة... أنا كمان عندي اتفاق تاني.

-قول.

قاطعته بموافقة فورية فاعتدل في جلسته شارحًا:

-هم اتفاقين بس فيهم شبه من بعض يعني..

أول حاجة هي إن يعني كل واحد يتصرف بطبيعته، يعني بلاش شغل جر رجل الزبون ده.

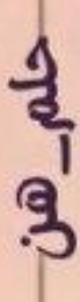


تاني حاجة، لو حد زعل التاني يا ريت يقول.. وميكتمش.

راق لها هذا البند كثيرًا، لذا وافقت على الفور:

-اتفقنا... done.

قاطعهم صوت هاتفه، ثم؛ رد عليه ليجد "سمسم "يخبره أن السيارة تم تصليحها وصارت جاهزة، فشكره وأخبره بالمجيء ليستلمها منه وأغلق الهاتف وهو ينظر لها يخبرها بأن مشكلة السيارة تم حلها، وربما أيضًا مشكلتهما لكن هذا ما حفظه داخله..



طلب الحساب ليدفعه واستعدوا للرحيل، ولكن قبل أن يغادروا قال باتفاق أخير:

-النهاردة... 2/2 السنة الجاية في نفس التاريخ، وفي نفس المكان... هنجي هنا مع بعض ونقرر..

يا نيجي ننفصل بمنتهى الهدوء والاحترام.

شددّ على الكلمتين، ثم صمت لتعي اتفاقهما وحسن نيته..

رغم نه قدم هذا الاحتمال لكن لأنه ليس الأقرب أو الذي يريده، ولكن لأنه لا يريد ختم هذا الحديث به وأكمل..

-يا نيجي مع بعض هنا نحدد معاد فرحنا سوا..

قالها وعينيه يرتسم بها الأمل لكن لا تخلو من القلق كذلك، وهذا أيضًا ما فعلته وهي تومىء موافقة بذات الشعور الذي يكمن في نفس كل منهما..

التفاؤل.

الأمل.



تمت بحمد الله.

31/1/2022.

13/2/2022.



إلى اللقاء مع المتاهة الثانية..

حكاية خلقت لتدفن.



لمتابعة الكاتبة..

فيس بوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=100006312405112

تليجرام

https://t.me/nadaothmannovels

